تراث

بطرس ألفنس

عُمدَةُ النُسّاك

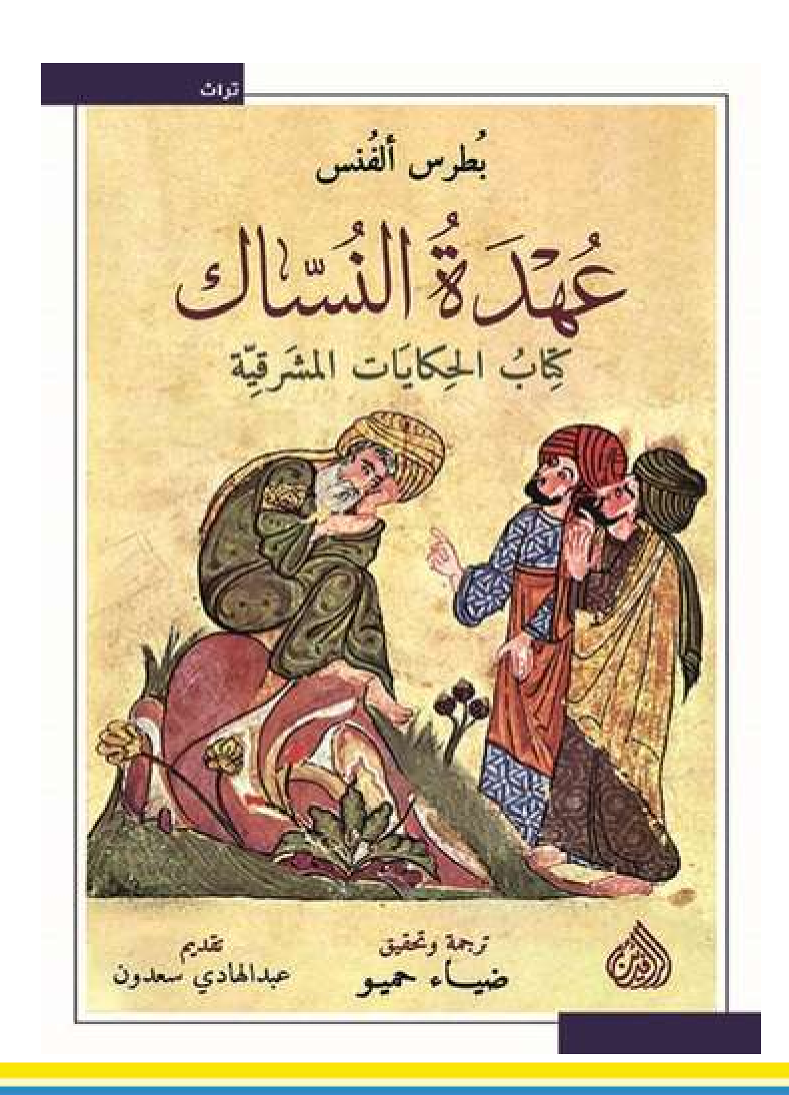
كتابُ الحِكاياتِ المشرقيّة



ترجمة وتحقيق
ضياء حميو

تقديم
عبدالهادي سعدون

الفصل 1


تراث
بُطرس ألفُنس
عُهدَةُ النُسّاك
كِتابُ الحِكايات المشرقيّة
ترجمة وتحقيق
ضياء حميو
تقديم
عبدالهادي سعدون

الفصل 2

عُهْدَةُ النُسّاك

بُطرس ألفُنس

مراجعة النسخة الفرنسية رجاء الهراج

ترجمة وتحقيق ضياء حميو

تقديم عبدالهادي سعدون



عُهْدَةُ النُسّاك

بُطرس ألفُنس

ترجمة وتحقيق: ضياء حميو

تقديم: عبدالهادي سعدون

مراجعة النسخة الفرنسية: رجاء الهراج

Disciplina Clericalis

By PETER ALPHONSE

Translated by Dheyaa Hamio

الطبعة الأولى: مايو - أيار، 2021 (1000 نسخة)



لبنان - بيروت / الحمرا

تلفون +961 1 541980 / +961 1 345683

بغداد - العراق / شارع المتنبي عمارة الكاهجي

تلفون +9647811005860 / +9647714440520

info@daralrafidain.com | dar alrafidain
daralrafidain@yahoo.com | Dar alrafidain
www.daralrafidain.com | @daralrafidain

تنبيه: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978 - 9922 - 643 - 30 - 4

الفصل 3

عُهدة ألنُساك: الشرق والآداب السردية الغربية

عبدالهادي سعدون

كاتب وباحث أكاديمي

أستاذ الأدب واللغة

العربية في جامعة مدريد

تكشف لنا حفريات السرديات الغربية وآدابها عموماً عن طبقات دفينة مكونة لبنيتها الأولية، ليست موغلة في القدم، ساهمت بتشييد صرح آدابها وفنونها الرفيعة. وبالتالي ساهمت بشكل جذري وفعال بتغيير خريطة الحكاية والقص والسرد العالمي برمته. هذه الطبقات تعود في سُمكها الأول أو حجرها الأساس لما تركه العرب في شبه الجزيرة الإيبيرية (الأندلس سابقاً وإسبانيا اليوم) وهم بدورهم قد نقلوه عن علوم وآداب أجدادهم العرب في بغداد العباسيين وهؤلاء بمزيج محكم وتلاقح قل نظيره عن شعوب وأمم المشرق المتداخلة ضمن موشور ما بقي وتم امتصاصه وتمثله من آثار رافدينية عراقية (ميزوبوتامية) في عموم المنطقة. وكتاب الحكم والمواعظ والحكايات المعروف باسم (الدسبلينا Disciplina Clericalis) أو نسخته العربية هنا (عُهدة النُساك) الذي يقدمه لنا بتحقيق متميز الباحث العراقي ضياء حميو في ترجمة عربية أولى للنص، ترقى به إلى مصاف النص اللاتيني نفسه الذي تركه لنا الأندلسي اليهودي الموريسكي الحاخام موسى سِفَرْدي، بإسمه المتنصّر بيتر ألفونس، أو بطرس ألفُنش أو آفُنش، لو قيض لأندلسيي عصره أن يدونوا اسمه ولقبه في مدوناتهم وكتبهم القيمة التي تركوها بارزة في المجتمع الإيبيري أو مخبئة تحت ثقل طبقات أخرى سيتم الكشف عنها بصورة متتالية.

لقد ذكرت في مناسبات أخرى(1) إن قصص وحكايات الحكمة والنُصح وتهذيب الأمراء والملوك قد حظيت باهتمام المجتمع الأوربي قديماً، وهذا الاهتمام بقصص الحكمة المشرقية من قبل الغرب، سواء بترجمة ما تضمه كتب قصص الحكمة الشرقية من اللغة العربية أو الهندية والفارسية والعبرية عبر العربية كلغة وسيطة أو بكتابة قصص على منوالها، امتد خلال العصر الوسيط وحتى أزمنة أخرى تالية ومناطق جغرافية مختلفة، وانتقل بفعل التأثير والتأثر من الشرق إلى الغرب. وقد تم بشكل خاص داخل القارة الأوربية التي كانت تتوق إلى الخروج من عصور الظلام التي عاشتها في القرون الوسطى إلى عصر التنوير، والذي بنت خلاله أسس حضارتها الحديثة والمعاصرة التي ستؤثر على بنية العالم كلياً، وفي مقدمتها بطبيعة الحال رمز الإمبراطورية الأوربية آنذاك إسبانيا. كانت إسبانيا الكاثوليكية الأقرب إلى التأثر الشرقي من غيرها من دول أوروبا الأخرى، وذلك بفضل ما ورثته عن الحقبة الأندلسية التي امتد تواجدها لأكثر من ثمانية قرون من التعايش الفعلي، عندما كانت فيها شبه الجزيرة الإيبيرية منارة للحضارة والعلوم والآداب والفنون، بينما كانت أوروبا غارقة في الظلام ولم تكن قد نهضت بعد من سباتها الطويل.

على هذا الأساس تبنى بعض المتنورين من الحكام والمتنفذين الإسبان من ساسة ورجال دين مسألة الحفاظ على ما وصلهم من تراث كبير ومدهش من الحقبة العربية الإسلامية وذلك بقراءته وترجمته وتمثله في أدبياتهم الخاصة أو حتى في المراسم والتقاليد الدينية والكنسية الكاثوليكية منها. وهذا ما ساهم بشكل فعال في مسألة تنمية وتطور ونهوض الآداب الإسبانية والأوربية ومن بعدها العالمية كلها. أي أننا مدينون إلى تلك الجماعة الصغيرة من كتبة وعارفين ومترجمين وكذلك من المتنفذين الذين كانوا ينظرون للأمور بشكل آخر ونظرة وفكر واعيين. وهو ما ساعد بحفظ الكثير من التراث العربي الأندلسي والمشرقي من محارق التعمية والحقد والكره والتطرف الديني ممثلاً بشكل كبير بمحاكم التفتيش الدينية البغيضة.

في عمله هذا وكتابات أخرى منسوبة له، يمكن ملاحظة الشق الآخر في حال المتنصرين المقربين من الحكم؟ أي تلك الحرية المشروطة وشقها الأهم في التأليف والتواصل وربط الجذور بالوضع الجديد وهو ما أتاحته له الفرصة ان ينقل عن علوم الشرق (جذره الأساس) ما رأى بأولياته أن ينفع به جذره الجديد (الغرب). وهو من جانب آخر يمنحنا فرصة تقييم مقنعة عن

حال منْ بقي من الموريسكيين مسلمين ويهود في هذه المجرشة الكبيرة التي ستسمى فيما بعد بإمبراطورية إسبانيا العظمى. من ناحية التأكيد على ما كسبه هؤلاء من وضع وإن كان قلقاً وبمراقبة دائمة، يمكننا أن نراه هين نسبياً، قياساً لمئات الآلاف الآخرين الذين وُضِعوا موضع الشك والشبهة والملاحقة والتصفية الدينية أوالجسدية، لتنتهي مع بدء القرن السابع عشر بالطرد التعسفي النهائي بعيداً عن إسبانيا «أرضهم الأم» التي لم يعرفوا غيرها أرضاً ومجتمعاً أباً عن جد. ضمن هذا الضوء الشحيح وتلك الكوة الضيقة، استطاع بطرس ألفُنس أن يطل برأسه مثل القليلين من امثاله، ووضع ما أستطاع وضعه من معرفة مشرقية وأندلسية مكتسبة في رسائل وكتب وتعاليم أخرى ونقلها للاتينية لغة المنتصرين المتنفذة آنذاك قبل أن تتطور مكنتهم اللغوية وتستقل فيها عن اللاتينية.

على الرغم من أن الكثير من الدراسات التي راجعناها في مصادرها الإسبانية او الإنكليزية، تحاول بشتى الطرق والتأويلات والنبش في المحتوى الفكري، أن تؤكد على مراجعه اليهودية كأساس أولي في ترجمة وكتابة هذا الكتاب المهم، بل حتى أن البعض قد بدأ يشكك بمسألة نقله من العربية إلى اللاتينية ويشيرون على وجود نسخة عبرية ضائعة، وهذا ما لا يمكن إثباته ولا أي دليل مادي أو روحي عنه. لكن الحقيقة لا تخرج عن كون الكاتب والكتاب بشهادة مؤلفه نفسه قد نقلها عن الأصل المكون لها، أي ما هو ضمن الإرث العربي كبوتقة جامعة لكل التراث المشرقي والأندلسي بأطيافه وعقائده وثقافاته المتنوعة المختلفة، المنسجمة والمتشابكة بعضها مع بعض في رباط من الصعب فكه أو نسل خيوطه. أو لعلنا نمضي إلى ابعد من ذلك بإحالة مصادره الحكائية إلى الجذر التمثيلي الأول الذي تشكل في البيئة العراقية، بدءاً من أمثال أحيقار وخرافات إيسوب وأساطير لقمان وصولاً إلى المنبع المباشر في كليلة ودمنة أو السندبادنامة (مخاطبات الوزراء السبعة) ونصوص أخرى قبلها تدخل في حيز الليالي العربية.(2)

والأن لنتساءل معاً: هل (عهدة النساك) يعتبر كتاباً مترجماً من العربية إلى اللاتينية أم أن الحاخام موسى السفاردي أو بطرس ألفُنس قد قام بدور آخر غير الترجمة؟ بطرح آخر هل نحن أمام كتاب نقل مباشرة من العربية إلى اللاتينية بطلب أو بأمر أحد السادة أو الملوك الكاثوليك، أم أنه كتاب مؤلف بالعربية ليترجم إلى اللاتينية؟ أو لنمضي أبعد من ذلك؛ هل كان عمل الحاخام موسى (فيما بعد المتنصر بطرس ألفُنس) هو وضع عصارة أفكاره منتقاة وممتزجة بالحكم

والأشعار والحكايات التي عرفها بالعربية والعبرية ومصادر لغات وثقافات أخرى ليقوم بتدوينها مباشرة باللاتينية؟

باعتقادنا، وهذا واضح من متن الكتاب والتعليقات والآراء المبثوثة هنا وهناك في كتابه (الدسبلينا)، ان ألفُنس لم يكن مترجماً ممتهنا فحسب، مهمته النقل دون أي شيء آخر، بل كان صانعاً ومؤلفاً مضيفاً ومعدلاً على النصوص التي انتقاها ليترجمها ويضعها هنا وهناك ضمن تركيبة سردية مغايرة. وهو في ذلك نجده أميناً كل الأمانة بأن لا يغمط حق أولئك المؤلفين العرب الذين نقل عنهم، ولم يبتر ما له صلة بالعربي من وجود في الأشخاص والأبطال ولا في الحكمة والأشعار والحكايات المتداولة. ولكنه مع ذلك (وهو ما يعترف به في المقدمة) بأنه قد غير مما غيره في أكثر من موضع في الكتاب وبدل وحذف وحور ليتناسب مع معتقداته الجديدة، وهو في هذا لا بد وأن أمضى بمشرطه في طول الكتاب وعرضه، إذ لا ننسى انه وهو يترجم ويعيد الصياغة ويكتب ويضيف إنما عينه وفكره منصب على إرضاء أسياده الجدد والمضي مع معتقده الجديد حتى لا يوضع موضع شبهة أو شك بنصرانيته الجديدة المراقبة دوماً من قبل عيون ووشاة محاكم التفتيش نفسها.

نعتقد من هيكل بناء الكتاب أن ألفنس قد ترجم مجموعة من الحكايات التي انتشلها من الكتب السردية العربية أو من طيات كتب الأندلسيين أو ما وصلهم من المشرق تحديداً أو ما كان يتناقله العامة من مرويات شفاهية متغيرة ومتطورة كحال كل حكايات العوام ومجتمعاتها. وبعدها إثناء عملية الكتابة ـ الترجمة، بنا عليها تصوراته في إيراد الأمثلة والحكم والنصائح مما ينسجم مع كل حكاية من الأشعار العربية التي يشير لها دائماً دون إشارة لصاحبها (على نمط كتب التراث العربي نفسه عندما يؤكد المؤلف على مسألة معينة بتعضيدها بمثال شعري بقوله: وكما قال الشاعر او قال أحدهم). وهي هنا قد تكون نقلاً لمحتوى شعري معروف أو من تأليف المؤلف نفسه دون أن يشير له، على الرغم من أننا يمكن بين حين وآخر من المعنى الشعري، أن نستدل ولو بصعوبة على مصدره الشعري الأصل. والتعضيد أيضاً عبر الحكمة والموعظة والأمثال التي تتداخل مع الحكاية، قبلها أو بعدها، مرتبطة بمتنها ارتباطاً عضوياً أو خارجة عنها، لا صلة بينهما سوى التوكيد على الحادثة ومجاراتها، وايضاً تماشياً مع النموذج السردي الذي عرفه صاحب الدسبلينا، ونعني به مجموع كتب السرديات والآداب التراثية العربية في

مشرقها ومغربها. كما أن مؤلفنا أراد أيضاً أن ينبه القارئ إلى اشتراكه بالعملية التأليفية كاملة بإيراد اسمه في البدء والختام كقائل لقول أو لحكمة، ولعلنا لن نخطئ إذا أشرنا إنه هو المؤلف بعينه للعديد من الحكم والأشعار المبثوثة في طيات كتبه ومنها (الدسلينا) بالطبع، دون إشارة او تذكير او تنبيه معين.

ما نراه حقاً أن ألفونس إضافة إلى قناعته ببنية الكتب المستمد منها حكايات الدسبلينا وإرثه من تراث مشرقي وأندلسي عربي إسلامي وعبري سفاردي، فهو هنا يؤكد على هذه المسألة (تعضيد الأشعار والمواعظ والحكم) لغاية تربوية تعليمية وتهذيبية كما عليه غرض كتابه الأساسي. أي جعلها درساً للإفادة منه من قبل المتعلمين والسادة والفقهاء من الجانب الرسمي للإمبراطورية الناشئة ولذوي السلطة الكنسية الدينية كمتن توضيحي وترسيخ لقيمهم التعليمية والتهذيبية التي يعرف بها حق المعرفة. وهو هنا لا يخرج عن مسألة التأكيد الأساس كونه عنصراً جديداً وطارئاً على المؤسسة الكنسية الكاثوليكية ولتعضيد دوره ومكانته المتأرجحة كمسيحي جديد، عليه إثباته في كل مراحل حياته القادمة. كما إنه ولا بد من التأكيد على أن فترة ظهور ألفونس كمترجم وعالم ومتفقه ـ ثم هجره لليهودية ودخوله المسيحية كفرد مخلص للديانة المسيطرة الحالية بعد سقوط الحضارة الأندلسية ـ تم في فترة مازال فيها روح التسامح كبيراً والتعاون ما بين سلطة الأديان الثلاث ممكناً ومتاحاً ومرغوباً من الجميع قبل أن يتحول تحولاً شرساً في فترات لاحقة لينتهي بصراع دموي طويل الأمد.

وللدخول في مدى تأثير دسبلينا عهدة النساك على مجمل السرديات الأوربية والعالمية التالية، وهي نظرة ليست حدية ومجافية للواقع، وليست الغرض منها الخروج لمناصرة كل ما هو مشرقي وعربي إسلامي ضمن بؤرة التكوين السردي العالمي قاطبة، بل النظر للأمر بواقعية وتصور عقلاني محايد. وهنا لكم أن تتصوروا التالي: لنتصور معاً ولو للحظات فكرة عدم وجود للدسبيلنا ككتاب ولم يتم كتابته ولا ترجمته إلى اللاتينية، ولم ينقل فيها تلك البذرة الأولى لما سيشكل مدخلاً أساسياً لما يعرف فيما بعد بالقص أو الرواية الأوربية!؟ أعرف أن العملية تشبه الارتماء في الفراغ دون سند. ولكنها افتراضية ممكنة، إذ لو لم يعمل كل أولئك الكتبة والمترجمون ما عملوه من نقل وحفظ وتفسير لذلك التراث الأندلسي ووضعه بلغة المنتصر، فهل يمكننا تصور وضع الآداب الأوربية والعالمية برمتها؟ بالتأكيد سيكون تاريخاً مختلفاً جداً عما

نعرفه وما عليه اليوم بعد قرون من وصول أولى الحكايات المشرقية إلى أوربا وتعاشقها مع النموذج الجديد لتشييد صرح سردي سيكون هو الحجر الأساس لكل ما سيأتي بعده من فنون وآداب حكائية وروائية لاحقاً.

إن الترجمات من العربية إلى اللاتينية (وفيما بعد إلى الرومانثية القشتالية) ساهمت بشكل وآخر بتوطيد معالم الأدب الجديد، واستخدامه المطرد في ممالك قشتالة والبلدان الجديدة. التطور والتلاقح الثقافي الذي نقله المترجمون إلى شبه الجزيرة الإيبيرية عبر الكتب المترجمة عن العربية او المؤلفة مباشرة باللاتينية أو الرومانثية الإسبانية الوليدة بتأثير مشرقي، كان أن دعا العديد من رجال الكهنوت ومؤلفي الفترة بإيجاد صيغ مشابهة لنقل تعاليمهم وأناشيدهم الدينية لأكبر رقعة من جمهورهم، ومن هنا بدأت أقوال وقصائد وصف المسيح والعذراء وأناشيد الاعتراف تسلك مسالكاً مستجداً في الإيصال. خلال ذلك الوقت نشأ التقليد الأدبي المسمى بـ (الأمثلة والمواعظ والعبر) وهو الاسم الذي يطلق على الحكاية أو التاريخ أو الخرافة أو التشبيه، وكذلك الوصف والحكاية الأخلاقية والأمثلة التي تستند على محتوى أخلاقي وديني، وبطبيعة الحال، ما تم البدء به كطريقة لكسب الجمهور، تحول مع مرور الوقت إلى ميزة ورمز حي لكل آداب المنطقة.(3)

لولا الدسبيلنا والمؤلفات المشرقية المقتبس منها والناقل عنها والمتأثر بها كـ (ألف ليلة وليلة) و(كليلة ودمنة) و(السندبادنامة أو السندبار)، لا يمكننا بأية حال تصور وجود مادي لرائعة ثربانتس (الدون كيخوته) كمؤسسة لنمط الرواية العالمية، ولا وجود لنمط أسمه الرواية لو لم يقم ذلك الأندلسي السفردي المشرقي المغاربي المتوسطي الإيبيري بوضعه للـ (دسبلينا) باللاتينية، لغة السلطات الحاكمة آنذاك، قبل أن تنسل قليلاً عنها وتؤسس لها كياناً لغوياً يجتمع بلغات (الرومانث) الأوربية وينفرد عنها بلغة أهل قشتالة الإسبانية. هل يمكن تصور الأدب الأوربي عموماً والإسباني خاصة دون كتب الفروسية وروايات البيكاريسك الصعلوكية وروايات ثربانتس المثالية ومسرحيات وأشعار لوبي دي بيغا وكتابات واشعار كبيدو أومسرحيات تيرسو دي مولينا، او قبلها في كتب ذات نفس مشرقي بحت مثل (الفارس ظفار) و(الكوندي لوكانور) و(الحب المحمود) وغيرها الكثير. هل يمكن تصور الأدب الإيطالي دون ديكاميرون بوكاشيو أو حكايات القرون الوسطى المثالية الإيطالية؟ أو الأدب الإنكليزي دون

نتاج شكسبير أو الأعمال المسرحية الفكتورية مثلاً؟ الجواب قطعاً: لا. لا يمكن تصور الأدب العالمي دون بداياته وبذرته الأولى، ولا يمكن تصور بداية أخرى مغايرة، وآداب سردية مختلفة عما نعرفه وما نتداوله وما وصل لنا منه.

من هنا تكمن أهمية هذا الفتح السردي: الدسبلينا ككتاب مدون بالعربية أو منقول عنها ومترجم إلى اللاتينية، الوريث والحاضن لما نقله عن تلك الثروة السردية المشرقية الهائلة. هو من فتح الأبواب على النتاج التالي في القرون الوسطى الأوربية، وهو ما نبه لذلك الخزين المشرقي الكبير من الحكايات والحكم والأمثال والنصائح سرداً وشعراً، بحيث أن كل جديد مكتوب في أوربا الناشئة آنذاك، لا يمكنه الخطو بخطوة زائدة دون الاستناد إلى ذلك المخزون الهائل، جزء منه أو بكليته، ومن ثم تطويعه وتطويره وتغييره والإضافة عليه ودمجه في بوتقة نتاجها الخاص. بفضل بطرس ألفنُس ونقله للحكايات المشرقية، قد حدث التحول الأكبر في مجال القصة في أوربا، حيث ترجمت فيما بعد من اللاتينية إلى لغات مختلفة، وهو ما نرى تأثيره البالغ في النثر الأوربي قاطبة، بل يتعداه ليكون المعين الأساس لأول نماذج فن الرواية الأوربية في إيطاليا وإسبانيا.

كلمحة مختصرة دون الدخول الكبير فيه، يمكننا الإشارة إن ما نقله لنا ألفُنس من الحكايات العربية والمواعظ والحكم والأشعار في دسبلينا عهدة النساك، تم امتصاصها وتلبسها بلباس أوربي جديد عبر النصوص الإسبانية واللاتينية المستجدة. والدراسات حول هذه المؤثرات العربية المشرقية تعد بالمئات ويمكن الرجوع لها من قبل القارئ والباحث الملم بأية لغة هندو-أوربية، ولا موضع شك فيها ولا غاية لنا هنا سوى استذكارها والتأكيد عليها لطالما أصبحت من المسلمات العلمية المعروفة لدى الجميع. ولكن لا بأس من استذكار ما جاء بعدها، أي ما أحدثه كتاب الدسبلينا من هزة شديدة الوقع بحيث ان الآداب الأوربية لم تستطع الخروج منها إلا بعد فترة طويلة من تمثلها والسير على نهجها والتطبع بطباعها. وقائمة الكتب المؤسِسة للتراث الإسباني والأوربي التي نقلت وتأثرت بكتاب ألفُنس على مدى القرون الثلاثة التالية لصدوره كثيرة، وبنظرة لأقربها زمنياً يمكن التمعن بالتالي: كتاب الأمثلة (القرن 14) يتقاطع مع الدسبلينا وينقل عنه بما لا يقل عن 18 نصاً مشتركاً، وهي النصوص نفسها بعدد أقل أو بمنقولات مغايرة دمجها الأمير دون خوان مانويل في كتابه الكوندي لوكانور (القرن 14)، وكذلك المؤلف

المجهول لكتاب الفارس ظفار (القرن 14). كما تطابقت حكايات كتاب الأمثلة الرومانية (القرن 14) مع الدسبلينا بما لا يقل عن 14 موضعاً، وحكايات إيسوب (القرن 15) بأكثر من 15 موضعاً. وهذه الكتب المذكورة سابقاً تتقاطع فيما بينها بحكايات ذات منشأ وأصل واحد في أكثر من عشرة مواضع بينة الدلالة والجذر. هذا ناهيك عما سيليه من اقتباسات وتأثيرات جلية في أغلب آداب القرن السادس عشر المسمى بالقرن الذهبي ليتحول الأثر إلى الشعر والرواية والمسرحية، وكلها معروفة ومحققة ومدونة ومشار لها في أكثر من دراسة وكتاب يمكن العودة له والاستزادة منه.

ما علينا أن ننتبه له في مستقبل قريب هو مهمة البحث القصوى والدراسة الحقة لكتاب عهدة النساك، والبحث المعمق في كل تلك الجذور الحكائية وما فيها من حكم وأشعار وإعادتها إلى أصولها العربية المستمدة منها سواء في كتاب واحد أو كتب متعددة. وهو ما لم يقم به أي باحث غربي حتى اليوم. ونحن نعلم أنها مهمة ليست بالسهلة إطلاقاً لطالما رأينا أن ألفُنس نفسه لا يقوم بمهمة المترجم الحرفي فقط، بل يغير ويضيف ويحور فيها تبعاً لظرفه ووضعه الجديد. وإذا كان الباحث القدير ضياء حميو في مدخل تحقيقه وترجمته لهذا العمل الذي ينشر هنا، قد أزاح اللثام عن الكثير منها سواء بالحجة البينة او المقاربة الممكنة، كما قام في مواضع كثيرة في متن الكتاب نفسه، وقد استطاع الإشارة بتوفيق ودراية كبيرة لبعض من تلك الاقتباسات والإحالات وهذا شيء مهم وعظيم في مسألة التوثيق والدراسة والبحث، وهو ما يفتح لأكثر من باب في التأويل والدراسة. لكنها تبقى خطوة أولى، إذ ما يزال أمامنا شوط كبير لمعرفة أصول الكتاب بأكمله. ولا أظننا ببعيدين جداً عن معرفة جذوره والتمحيص فيها والخروج بنتائج مرضية. ولعل فرصة أخرى قادمة قد تذيع لنا عن اعتبارات وكشوف جديدة تنير لنا النص والنصوص المقاربة الأخرى.

عهدة النساك، النص المنقول إلى عربيته الأولى هنا، نص حيوي وحري بالقراءة والاهتمام والدراسة المستفيضة، شيء لم نقم به نحن العرب كحال الكتاب في لغات العالم الأخرى، على الرغم من أنها بضاعتنا المنسية أو المهجورة أو الدفينة تحت طيات عصور طوال، والتي ينجح ضياء حميو بانتشالها وتسليط الضوء عليها وتحليلها وردها إلينا بلغة موحية وترجمة رشيقة أمينة ومتأنية. عليه ومع هذه الترجمة الأولى والتحقيق العلمي المستفيض لكتاب دسبلينا عهدة

النساك، ما يجعلنا في حالة من البِشر والامتنان والحبور لرؤية هذه المعجم الأندلسي في الحِكم والأقوال والحكايات والأشعار المفيدة قد وجد لنفسه اخيراً موضعاً جديراً به وبمكانته الحقيقية في لغة الضاد.

عبدالهادي سعدون

(مدريد 2020)

(1) ـ تنظر في هذا الشأن دراستنا كمقدمة لترجمتنا إلى العربية لكتاب (الكوندي لوكانور)، كلمة، 2016.

(2) ـ للمزيد ينظر: الغانمي، سعيد: مخاطبات الوزراء السبعة، 2019.

(3) للمزيد ينظر: مختصر تاريخ الأدب الإسباني، كارلوس البار، 2002.



الفصل 4

مدخل إلى عهدة النساك

ضياء حميو

تاريخ المسألة

بدأ اهتمامي بالأدب والثقافة الأندلسيين منتصف الثمانينات من خلال الشعر الأندلسي، ومن ثم تطوّر ليغدو أكثر نضجا حين صارا جزءاً أساسيا من دراستي الأكاديمية في السنة الأولى من الماجستير في جامعة محمد الخامس في الرباط من عام 2012، وكان لابد من التفكير مبكرا لاختيار رسالة التخرج، وفي نهاية هذه السنة وفي الاستعداد للسنة الدراسية الثانية، اقتنيتُ عن طريق الصدفة كتاب تاريخ الأدب الأندلسي لبالانثيا بترجمة ممتازة إلى العربية، وفي تضاعيف هذا الكتاب لَفت نظري إشارة بلانثيا إلى كتاب (الدسبلينا) من أنه كتاب مستقى من الحكايات الشرقية، تسيدّ السردّ لأربعة قرون في الغرب اللاتيني.

قررتُ حينها أن يكون هذا الكتاب هو موضوع رسالتي في الماجستير كترجمة وتقديم للعربية، وبدأتُ البحث.

اطلعتُ في البدء على مختصراتٍ لبعضِ هذه الحكايات بالإنجليزية، وعثرتُ على تلميحات عنها وكاتبها في اللغة الدنماركية، كما وجدتُ مصدرين إسبانيين مُتَرْجَمينِ إلى العربية، يتحدثان عنها ذاكِرَيْنِ شيئا شحيحا عن المؤلف، ووجدتُ النسخةَ الإنجليزية من بعد، الصادرة عام 1919، فظننتها بالإنجليزية الحديثة وفقا لسنة الإصدار، ويالِشدّةِ خيبتي حين اكتشفتُ أن هذه النسخة لاعلاقة لها بالإنجليزية الحديثة، عدا بعض هوامشها ومقدمتها ومدخلها، أما الباقي فهي نصوص الحكايات بالإنجليزية الوسيطة، وأن ما بين يدي ماهو إلا نسخة تحتوي على تعليق وتقديم

للمخطوطة الأصلية، المحفوظة في كاتدرائية ووسسترWorcester Cathedral، تحت الرقم F172، وتحت عنوان فرعي هو: حكايات من القرن الخامس عشر.

صنعتُ قاموسا خاصا بي خلال فترة الترجمة من الإنجليزية الوسيطة إلى الحديثة، ومن ثم إلى العربية.

هكذا شرعتُ بالترجمة والبحث، وكنّتُ غالبا ما اصطدم بإحالاتٍ من المحقق إلى اللاتينية بدون ترجمة منه، ناهيك عن ثغرات في ترتيب الحكايات وسياقها، الأمر الذي جعلني مضطراً إلى المقارنة بنسخة في لغة ثانية، فكان اختيار النسخة الفرنسية لشهرتها، ولأنها من أوائل النسخ المترجمة عن اللاتينية.

قامتْ بترجمة النسخة الفرنسية لنا أستاذة الأدب الفرنسي في مدينة طنجة المترجمة القديرة رجاء الهراج، باذلة جهدا كبيرا طيلة أكثر من ستة أشهر، خصوصا وأن الترجمة كانت عن الفرنسية الوسيطة.

سدّتْ الترجمةُ الفرنسية ثغرات كثيرة في النسخة الإنجليزية، ورغم ذلك كان النقص حادا، لمسته يوميا بما لدي من أوراق، حينها كانت خطوة ترددتُ كثيرا في اتخاذها وهي العودة إلى اللاتينية وأن لا يقتصر عملي على الترجمة والتقديم، بل إلى حدٍّ ما التحقيق أيضاً.

كان حافزي بهذا هو صوت مؤلفها الأندلسي الذي يبتسم لي من بعيد قائلا: «كن أمينا بترجمة كتابي هذا، وتذكر أنني كتبته باللغة العربية في البدء ومن ثم ترجمته إلى اللاتينية، فكّر مثلي كأندلسي ثقافته متنوعة عاش في القرن الثاني عشر ميلادي».

لا شك في محالفة الحظ لي بالعثور على نسخة لاتينية مرفقة مع الطبعة الإسبانية تعود للعام 1948، في مكتبة (مركز ثرفانتس) الإسباني في مدينة طنجة.

أنهيتُ الترجمة والتقديم بعد عام، وحصلتُ على الماجستير، ثم فكرتُ كثيرا في نشرها ككتاب مستقل يكون الترجمة العربية الأولى، وربما الترجمة الوحيدة التي ستحاول مقاربة روح السرد

العربي عند مؤلفها، الذي لم تستطع أن تقربه الترجمات المختلفة بلغات متعددة طيلة ثمانية قرون.

تأجل الموضوع لإحساسي بوجود نقص ما لدي، ثم انهمكتُ طيلة السنوات التالية بتحضير أطروحة دكتوراه عن العجائبي في السرد العربي القديم، ولكن بمجرد أن انتهيتُ من كتابة الأطروحة، عاد صوت موسى الأندلسي ابن مدينة وشقة يخاطبني: «مازلتُ انتظر طيلة ثمانية قرون».

هكذا شرعتُ ثانية وبشغف كبير بالبحث والترجمة والمقارنة، لتخرج هذه الترجمة العربية الأولى، كوفاء لرواد السرد الأوائل الذين وضعوا اللبنة الأولى لما سيُعرف لاحقا بالرواية، وأحدهم صاحب (الدسبلينا).

كان مصدري الأساسي بالترجمة هي النسخة الإنجليزية لعام 1919، لأنها محققة بشكل ممتاز جدا، والمصدران المساعدان الأساسيان كانا النسختين اللاتينية والفرنسية، ومن بعد قام الكاتب والباحث الأكاديمي أستاذ اللغة والأدب العربي في جامعة مدريد، عبد الهادي سعدون، بجهدٍ رائع في تدقيق وتنقيح نسخة بلانثيا الإسبانية، مبدياً ملاحظات دقيقة حولها، أفادتني كثيراً، وهكذا صار لدي ثلاث مصادر مساعدة، لمقارنتها بالمصدر الإنجليزي المُعتمد.

راعتْ هذه الدراسة والترجمة القارىء الأكاديمي أكثر من العادي، لضرورات أكاديمية في التحقيق والترجمة والمقارنة.

بدأتُ في المدخل بتعريف النسخ الثلاث المعتمدة في التحقيق والترجمة، ومن ثم التعريف بالمؤلف والكتاب اعتمادا على مصادر مختلفة، ومن بعدها قدمتُ ترجمة مختصرة لأهم ماورد عند مقدمي النسخ (الإنجليزية، الفرنسية، الإسبانية)، عوضا عن الإشارة لها بهوامش، تجنبا للإطالة.

سيلاحظ القارىء إدراجي لعنونة الحكايات بثلاث لغات (العربية، اللاتينية، الإنجليزية)، مراعاة لأمانة من نقلنا عنهم، واستمح العذر لتدخلي المفرط أحيانا في الهوامش أثناء سرد الحكايات، حرصا على الأمانة العلمية.

لا أدّعي الكمال في الترجمة العربية أدناه، ولكنني حاولتُ واجتهدتُ، وآمل أنّي مهدتُ الطريق لباحثين آخرين عربا وغيرهم ليدلوا بدلوهم، وليصوبوا ما أخطأتُ به.

WESTERN RESERVE UNIVERSITY BULLETIN

New Series

Vol. [illegible] MAY, 1919 No. [illegible]

LITERARY SECTION SUPPLEMENT

Western Reserve Studies, Vol. I, No. [illegible]

PETER ALPHONSE'S

DISCIPLINA CLERICALIS

(English Translation)

FROM

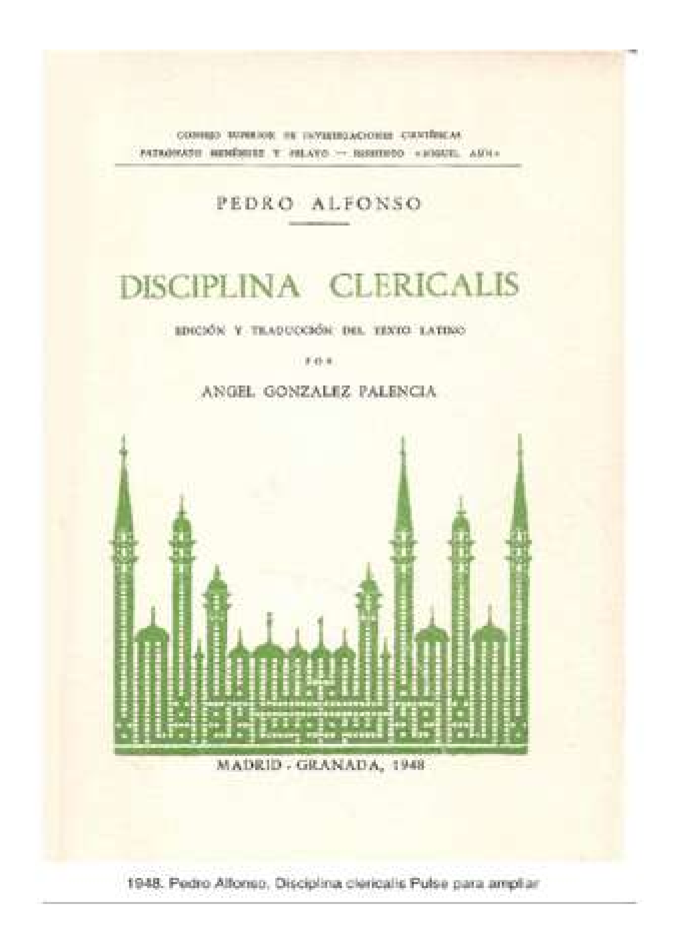
The Fifteenth Century Worcester Cathedral Manuscript F. 172

BY

WILLIAM HENRY HULME, Ph. D.

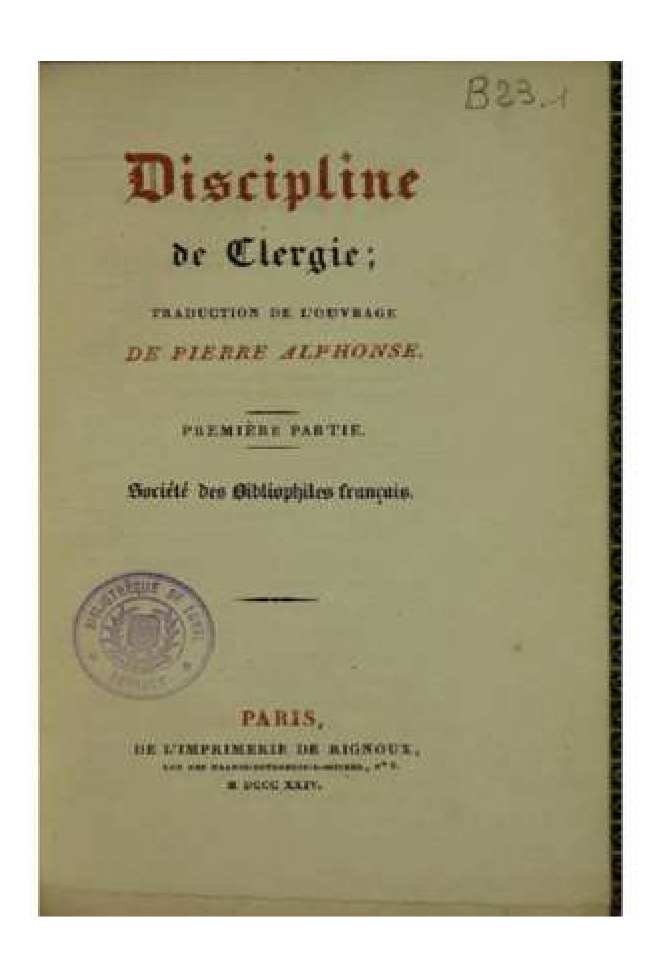
Professor of English

صورة عن غلاف النسخة الإنجليزية



1948. Pedro Alfonso, Disciplina clericalis Pulse para ampliar

صورة عن غلاف النسخة اللاتينية (الطبعة الإسبانية)


B23.1

Discipline

de Clergie;

TRADUCTION DE L'OUVRAGE

DE PIERRE ALPHONSE.

PREMIÈRE PARTIE.

Société des Bibliophiles françois.

PARIS,

DE L'IMPRIMERIE DE RIGNOUX,

M DCCC XXIV.

صورة عن غلاف النسخة الفرنسية

تعريف بالمصادر الثلاثة للترجمة العربية

1 ـ النسخة الإنجليزية(4):

وهي من تحقيق Wiliam H. Hulme(5) لمخطوطة تعود للقرن الخامس عشر الميلادي مترجمة عن اللاتينية.

ولكي لا نُطيل بترجمة هوامش محققها، فقد ترجمنا مارأيناه مهما فيها وكتبناه بالخط الغامق المائل تمييزا عن هوامشنا أو تعليقاتنا على هوامش المحقق الإنجليزي، وفي الإشارة لهذه النسخة سنستخدم (E V) ملخصا لـ English Version، وحيثما ذكرنا Hulme فالمقصود

محققها، أما حين نذكر Söderhjelm فالمقصود أستاذ اللسانيات السويدي Werner Söderhjelm

(1859 - 1931)، الذي أشار له المحقق كثيرا.

2 ـ النسخة اللاتينية(6):

وهي نسخة مُرفقة مع النسخة الإسبانية التي هي من ترجمة أنخل غونثالث بالانثيا Angel Gonzales Palencia (7)، وفي الإشارة لهذه النسخة سنستخدم (L V) اختصارا لـ Latin Version.

3 ـ النسخة الفرنسية(8):

وهي نسخة من تقديم جون لابودري jean labouderie (9) وترجمة Jean Miellot (10))، يعود إصدارها للعام 1824، وفي الإشارة لهذه النسخة سنستخدم (F V) اختصارا لـ French Version.

تعريف بالمؤلف

بطرس ألفُنس Peter Alphonse(11)، كاتب هذه الحكايات (الأمثال) التي عنونها صاحبها بـ Disciplina Clericalis، هو طبيب وعالم فلك ورجل دين أندلسي، وُلد عام 1062م، وتحوّل من ديانته اليهودية إلى المسيحية عام 1106م(12)، ورغم الإختلاف في تحديد سنة وفاته، إلا أن الإنسكلوبيديا البريطانية(13)، تذكر أنه توفى عام 1110م، وهذا مايتم ذكره أيضا في مدخل النسخة الفرنسية، فيما تُرجح العديد من المصادر الإسبانية ومنها مترجم النسخة الإسبانية Angel Gonzales Palencia عام 1140م كتاريخ لوفاة ألفُنس.

مُنح اسما آخر بعد التعميد(14)، ذلك الذي عُرف واشتهِر به لاحقا Peter Alphonse، وقبل ذلك كان اسمه الحاخام موسى سِفَرْدي(15) Rabbi Moses Sephardi.

وُلد في مدينة وَشقه Huesca، من مقاطعة آراغون Aragon(16)، وحمل اسمه الجديد تيمنا بملك آراغون ألفُنسو الأول(17)، الذي تبناه ورعاه.

ثمة اتفاق على أنه عالم فذّ من القرن الثاني عشر الميلادي، متعدد الثقافات، يُجيد العربية والعبرية واللاتينية، وكان من المفترض أن يذهب إلى إنكلترا لُيدرِّس علم الفلك العربي، بدعوة من ملكها هنري الأول(18).

ترجم بطرس ألفُنس كتبا عن الفلك، «كما كتب أول كتاب يحتوي على معلومات لها بعض القيمة الموضوعية عن النبي محمد وعن الإسلام»(19).

يُنسب إلى ألفُنس تأليفه بعد تعميده بفترة وجيزه كتاب الحوار Dialogi، أو حوار ضد اليهود Dialogus contra Judaeos، وفيه يدافع بطرس المسيحي عن المسيحية ضد هجوم موسى اليهودي، الذي يمثل موقف المؤلف قبل تحوله وكذلك موقف اليهود الأرثوذكس في عصره»(20)، وسينشر الدسبلينا بعد كتاب الحوار(21) بفترة وجيزة.

اتسمت الفترة التي عاش بها ألفُنس بالتسامح(22)، التي بدأت بسقوط المدن على يد القادمين الجدد(23)، إذ سُمِح في هذه الفترة للمسلمين واليهود بالبقاء في أراضيهم ولم يُجبروا على تغيير ديانتهم، وعُوملوا كرعايا عاديين، كان عددهم كبيرا نسبيا في مملكة آراغون، وعرفتْ هذه الفترة توسعا اقتصاديا كبيرا في فترة وجيزة، ولم يكن من السهل الاستغناء عن فئة الموريسكيين (الموراكة) الكادحة في الفلاحة وشتى الحرف(24)، وهذه الفترة هي نقيض ماسيحدث بعد ذلك بقرون حيث سيُطرد الموريسكيون(25).

«إن المسيحيين أو القوط الرومانيين قد عاشوا مع المسلمين واليهود خلال العصر الوسيط في جو من التسامح الديني برغم الحرب الدنيوية التي أطلق عليها (حرب الاسترداد). وهذا التعايش التاريخي الطويل المعقد فتحَ الباب بصورة حتمية للتلاقي والتلاحم الثقافي بين العناصر الغربية والشرقية في شبه الجزيرة الايبيرية واذا اعتقد أحد أن المسيحيين الإسبان لم يأخذوا شيئاً من مواطنيهم ذوي الثقافة الرفيعة من العرب واليهود فإنه بذلك يحكم عليهم بضيق الأفق، والافتقار إلى أدنى حدّ من الذكاء، وهو شيء نربأ بهم كثيرا عنه»(26).

تحولت بمرور الزمن مجموعة إلى المسيحية طوعا أو خوفا كبعض اليهود، فيما القسم الأغلب ظل على ديانته سواء كان مسلما أو يهوديا.

أظهر الوافدون الجدد في فترة ألفُنس، إعجاباً بالمسلمين ومهاراتهم، لكنه إعجاب مزدان باللّبس في ما يخص معتقداتهم(27).

لمحة عن اليهود السيفارد

نذكرُ لمحةً أدناه عن يهود شبه الجزيرة الايبيرية، لاختلافهم الثقافي والحضاري الكبير عن أقرانهم يهود أوربا الآخرين، لتُلقي الضوء على البيئة والوسط الاجتماعي والحضاري الذي عاشه وتأثر به بطرس ألفُنس(28).

وردتْ تفاصيلها في كتاب أثر الإسلام في الأدب الإسباني السابق الذكر في الصفحات (51 ـ 56).

«كان اليهود يعانون من الإضطهاد في عصر ريكاردو Recardo (الملك القوطي)، ولكن وضعهم تحسّن تحت الإدارة الإسلامية، وفي غالب الأحيان كانت تُحترم هويتهم الدينية. وفي هذا الوضع الجديد بدأوا على وجه السرعة يشغلون مراكز مهمة (فعملوا أطباء، ومصرفيين، وكتاباً، ومستشارين سياسيين، بل اشتغلوا مترجمين ووسطاء بين الثقافتين العربية والمسيحية».

«أقام السيفارد Sefarad (أي الإسبان) حضارة كبيرة تُنسب إليهم [....] مثّلتْ نهضة حقيقية أو عصرا (ذهبياً) في الثقافة العبرانية [....] لقد تجاوبوا تجاوباً خلاقاً إزاء التأثير الذي جاءت به الثقافة العربية الباهرة (وإن كانوا لم يعتنقوا الإسلام)».

«لقد نموا على هذا النحو ثقافيا وإنسانيا، في ظل الإمبراطورية الإسلامية [....] وبعض المؤرخين يظن انهم تعاونوا مع العرب في فتح الأندلس عام 711م».

«أهم ماقاموا به هو اتخاذهم اللغة العبرية لغة أدبية دنيوية [....] وهذا الجهد الخارق في تطويع لغة التوراة وأقلمتها مع روعة أساليب الشعر العربي التي قلّدوها كان شيئا باهرا».

«إن الأدب العبراني الإسباني [....] أصبح له مذاق نهضوي [....] فريد لدرجة أن الكثير من المتشددين اليهود اتهموه بالهرطقة».

«الاتصال بالثقافة الإسلامية والتعايش الطويل معها والسلام النسبي في شبه الجزيرة الأيبيرية هو الذي مكّن اليهود السفرديين من الازدهار الثقافي، حتى جاء العصر الذي انهار فيه التوازن بين الديانات الثلاث. وبدأت حركة التعصب العنيف الذي بلغت ذروتها [....] بقيام محاكم التفتيش عام 1478م وطرد اليهود عام 1492م».

تعريف بكتاب Disciplina Clericalis

يصفون الكتابَ مرة بحوارات ألفُنس(29)، ومرة أخرى بأمثال ألفُنس، وثالثة بوصايا أب لابنه...إلخ.

يذكر البعض «أن كتاب ألفُنس تعليم رجال الدين هو أول ماذاع في بلاد النصارى في العصور الوسطى من القصص المُستقى من أصول عربية»(30).

إذ تُعدُّ حكاياتها جميعها من أولى الحكايات ذات الأصول الشرقية الموجهة للعالم الغربي، وتسيدتْ هذه الحكايات السردَ لفترة طويلة، فتأثر بها كثيرون، كثربانتس بليلة الطواحين، وموليير في مسرحية جورج دَنْدان Georges Dandin، وبوكاشيو في الديكاميرون(31)، وأيضا كتاب الكوندي لوكانور(32)، الذي كُتب في عام 1335م(33)، ـ تُرجم حديثا إلى العربية بشكل كامل من قبل عبد الهادي سعدون ـ إذ سنجد الكثير من المشتركات بينهما(34)، وكثير غيرهم، حتى أن مقدمي النسخ الثلاث (الإنجليزية، الفرنسية، الإسبانية)، يضعون قائمةً بهم.

أراد مؤلف الدسبلينا أن يعنون حكاياته كأمثال EXEMPLUM أساسية وفرعية، تتضمن حكايات وحوارات ومواعظ.

يبدأ مسار حكايات ألفُنس من الحكايات العربية ولغتها العربية هي الأولى، وهذا ما يؤكده ألفُنس ذاته في تمهيده لكتابه(35)، وهو من قام بترجمته عن العربية، لتبقى نسختها بهذه اللغة ـ

اللاتينية ـ هي الوحيدة التي وصلتنا، ولتختفي النسخة العربية وربما إلى الأبد، الأمر الذي جعل الدارسين والمؤرخين الغربيين يعتبرونها نتاجا غربيا بحتا، وإن كانوا لا ينكرون أنها كُتبتْ بالعربية في البدء.

ما يدلّ على مصادرها المشرقية، هي صياغاتها واستشهاداتها وذِكرُ المدن العربية مثل بغداد، مصر، ومكة، وكذلك بناء السرد فيها الذي يشبه بعض الحكايات العربية كالقَصّ على لسان الطير والحيوان، وأيضا أنها تجعل من الإنسان العربي شخصية أساسية من شخصياتها، وكذلك طريقة عنونة الحكايات في النسخة اللاتينية، إذ وردت على شكل أمثال، تمثّلا بكتب الأمثال العربية وشرح قصصها والعِبر منها والتي اشتهرت في المشرق وانتقلت إلى الأندلس فيما بعد ليبرع الأندلسيون فيها(36)، وعليه يبرز تأكيد قطعي يؤكد أن حكايات بطرس ألفُنس هي ذات أصول مشرقية، تُدلل على التلاقح الثقافي والحضاري الكبير الذي حدث في الأندلس.

وضع ألفُنس لأمثاله تمهيدا يوضّح من خلاله سبب اختياره للتسمية وماهية قارئه المُفترض ولمن يوجهه على وجه الخصوص، الأمر الذي أرشدنا إلى اختيار تسمية (عُهْدَةْ النسّاك)، والتي سنوضح لاحقا سبب اختيارنا لها.

يمكن للقارىء أن يُلاحظ أن أكثر المتون قربا من (الدسبلينا) هو كليلة ودمنة(37)، على سبيل المثال مشتركات عديدة بينهما، منها: البداية لكلّ منهما، إذ يبتدىء العملان بوصف الصديق وكيف يكون الصديقان(38)، ويتجلى وجه الشبه الآخر، في طريقة استخدام صفة الناسك في متون الحكايات، فالناسك عند ألفُنس هو ذاته عند ابن المقفع، إذ هو ليس براهبٍ منقطعٍ للعبادة، بل نراه تلميذا يطمح للزواج وإنشاء أسرة.

ترد تسمية ناسك كثيرا في حكايات ألفُنس، على النحو ذاته في كليلة ودمنة(39)، مثلاً: عُنوِنتْ بعضها باسم الناسك، مثالها في كليلة ودمنة (باب الناسك وابن عرس)، ونقطة التشابه الأخرى، هي بتناول ألفُنس فوائد الحكمة ومحاسنها في متون حكاياته، وهو موضوع مطروق أيضا في كليلة ودمنة(40)، ونلاحظ تشابها أيضا في الأسلوب والموعظة، في مثال حكايتي ألفُنس: (كبير الخياطين وصانعه نِدْوي) و(القبض على اللّص المتردد فيما يسرق)، ومثالها في حكايتي كليلة ودمنة: (التاجر المستودع حديدا) و(الذئب وقوس الوتر)(41).

وكذلك استخدام صيغة الفيلسوف، على سبيل المثال حوارات الملك دِبشليم والفيلسوف بيدبا.

أما فيما يخص كتاب مائة ليلة وليلة المجهول مؤلفه، فيصلُ الأمر معه لا إلى التشابه، بل إلى التطابق في العديد من الحكايات(42)، هل أخذ ألفُنس منه أم حدث العكس، أم إن الإثنين امتّحا من مصادر واحدة؟(43).

وفيما يخص ألف ليلة وليلة؛ سنجد حكايتين(44) وردت عند ألفُنس هي ذاتها في ألف ليلة وليلة: هذه الحكايات كانت عند ألفُنس حكاية (الحماة والسيف المسلول) التي وردت في الليلة 581، في حكاية الوزير الثاني، وحكاية (القوادة ودموع كَلبَتها) التي وردت في الليلتين 584، 585، في حكاية الوزير الرابع، بالإضافة إلى طريقة السرد التي تتشابه في الإثنين.

هنالك اختلاف في مختلف الترجمات بعدد حكايات بطرس ألفُنس بين 30 ــ 39 حكاية.

ذكرت النسخة الفرنسية ثلاثين FABULA وثلاثين CONTE، أما النسخة الإنجليزية فذكرت ثلاثين أساسية وثلاث فرعية، فيما يرد في النسخة اللاتينية 34 مثالاً أساسياً و26 فرعياً، ويمكن أن يكون الاختلاف هو: أن النص الإنجليزي اكتفى بعنوان واحد لحكاية متسلسلة، فيما قسّمها ألفُنس إلى ثلاثة أو أربعة أقسام، وفيما إذا حذفنا الثلاث حكايات الأخيرة الزائفة من النسخة الإنجليزية، سيتبقى لدينا ثلاثون عنوانا.

أهملت النسخة الفرنسية أهمية العنوان كمرشد للقارىء، والذي وضعه ألفُنس لكتابه، فيما انتبهت له النسخة الإنجليزية، مبتكرة عناوين مشوقة، وهي التي اعتمدناها في ترجمتنا إلى حدٍّ كبير.

تدور الحكايات في صيغتي خطاب: الأولى والغالبة هي العربي موجهة لإبنه، والثانية هي الشيخ موجهة لمُريده (المُعلّم وتلميذه)، وثمة تداخل أحيانا في خطاب الحكيم موجهاً لإبنه.

يُمكن تبويب الأمثال (الحكايات) الثلاثين هنا، تبعا للمواضيع التي تناولتها إلى سبعة أبواب:

أولا: الصداقة ورفقة السوء: (النصف صديق، الصديقان الصدوقان، الحجاج الثلاثة إلى مكة ورغيف الخبز، قِسٌّ في خَمّارة).

ثانيا: المَلِك، (الملك والشعراء، الملك والحكواتي، رفقة الملك، التاجر الحكيم والملك القصير النظر).

ثالثا: اللصوصية، (براميل الزيت العشرة، حكاية الثعبان الذهبي، اللّص وضوء القمر، القبض على اللصّ المتردد فيما يسرق).

رابعاً: ِحكَم وأقوال لفلاسفة، (حول ماريانوس، سقراط «ديوجين» والملك، أقوال الحكماء عند قبر الكسندر العظيم، نعيب البوم).

خامسا: الفكاهة، (الشاعر الذي تحوّل إلى بوّاب، كبير الخياطين وصانعه نِدْوي، الخادم الكسول ميمون).

سادسا: على لسان الحيوانات، (البغل والثعلب، الثعبان الجحود، الفلاح والعصفور، الحَرّاث مع ثيرانه والذئب والثعلب).

سابعا: كيد النساء، (خداع زوجة النبّاذ، الزوج الذي خُدِع بالملاءة، الحماة والسيف المسلول، القَوّادة ودموع كَلبَتها، الزوج الغيور والحجر المُلقى في البئر، حكاية الصناديق العشرة).

أما الحكاية الأخيرة فهي وعظ وتأنيب للذات: (ناسكٌ يؤنب روحه)، ولا يمكن تسميتها حكاية، لأنها مونولوج داخلي لمتنسّك يُذكّر نفسه بفناء الدنيا ودوام الآخرة، وهو الذي في ملحقه عنوان (مخافة الله) DeTimore Dei، حيث يُنهي ألفُنس كتابه به وفقا للنسخة اللاتينية.

إنّ الغرض الأساسي أو الرسالة المستهدَفة من كلّ حكاية من حكايات ألفُنس، هي أن تتمكن من الرشاد والإرشاد، عبر دروس وتجارب يتلقاها المرء من الحكايات، كي تساعده على تهذيب النفس وترويضها، من

هنا يتخذ الأب أو المؤلف عدة أدوار وعلاقات ووظائف، فهي تارة علاقة القاص بقارئه، أوالأستاذ بتلميذه، أو الأب بإبنه، أوالشيخ بمريده طورا آخر.

لاحظنا إفراطا من ألفُنس باستخدام كلمة فيلسوف، ومن المرجح أن اللاتينية ومن بعدها الفرنسية والإنجليزية استخدمتاها كمقابل لكلمة (حكيم)(45)، والتي فضّلناها على كلمة (فيلسوف) التي وردت في النسخ الثلاث، ونشير هنا إلى رأي؛ من أن الكلمة كانت تُطلق على المسلم إعجابا به «وقد كان لفظ الفيلسوف يعني فعليا المسلم»(46)، وفي أحيان يصرّح ألفُنس بأن «فيلسوفا بلسان عربي إسمه إدريسEdriche قال لأبنه [...]...إلخ»(47).

ألفُنس والثعالبي

لم ينكر ألفُنس أخذه واستعارته من كتب الأمثال والمواعظ العربية، ولكن الاستدلال على الأصل الذي أخذ عنه صعب للغاية، بسبب خضوع النص لترجمة ونقل إلى ثلاث لغات كما أسلفنا، ورغم هذا حاولنا جاهدين أن نتتبع شيئا منها، ولكن قبل هذا التتبع لا بدّ من الإجابة على سؤال:

لَم الثعالبي دوناً عن غيره من المؤلفين، وهو المولود والمتوفى في نيسابور أقصى الشرق؟

هنالك ثلاثة أسباب دعتنا إلى الاعتقاد باطلاع ألفُنس على كتاب بعينه للثعالبي، ناقلا أو مستلهما منه حِكماً وحوارات وأشعارا:

1 ـ عاش الثعالبي (961 ـ 1038م) في فترة قريبة من فترة عيش ألفُنس.

2 ـ أشتهر الثعالبي بكتابه يتيمة الدهر، والذي وصل صيته إلى الأندلس، حتى أن ابن بسام الشنتريني (1058 ـ 1147م)، والذي عاش في فترة ألفُنسو الأول، يُصرّح في مقدمته لكتابه الأشهر (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) بأن الذخيرة ذيل لليتيمة في بلاد الأندلس(48).

3 ـ تجاوزتْ مؤلفات الثعالبي الثمانين مؤَلفاً، وأشهرها يتيمة الدهر، ولكن المؤَلَفَ الذي نرجّح اطلاع ألفُنس عليه هو (كتاب التمثيل والمحاضرة في الحِكَم والمناظرة(49))، إذ هو في الحِكم والأمثال: قديمها وحديثها ـ في عصره ـ؛ عند الفلاسفة اليونايين، وعند داوود وسليمان، وعند لقمان، وعند عيسى بن مريم، وعند الفرس، وما ورد عند الرسول محمد، والصحابة، والشعراء وغيرهم.

سنشير في الهوامش إلى نص الثعالبي المقابل لنص ألفُنس، وهذه الإشارة ستكون لما بدا لنا شبه مؤكد، أما فيما عداه والذي اعترانا الشك فيه بسبب الترجمة فتركناه لباحث آخر قد يودّ أن يُكمل ما بدأناه.

سنذكر أدناه ثلاثة نصوص، نعتقد أن ألفُنس استقى منها، هذه النصوص هي خطاب لقمان لابنه، وخطاب داوود لسليمان، ووصية عيسى بن مريم:

1 ـ «من أمثال لقمان الحكيم

يا بُنيّ: بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً. إياك وصاحب السُّوء فإنّه كالسيف، يحسن منظرُه ويقبحُ أثره. يا بُنيّ: لا يكن الدِّيك أكيسَ منك، ينادي بالأسْحار وأنت نائم. يا بُنيّ: لا تكن النملة أكيسَ منك، تجمع في صيفها لشتائها. يا بُنيّ: إياك والكذب فإنّه أشهى من لحم العصفور. يا بُنيّ: إنَّ الله يُحيي القلوبَ الميّتة بنور الحكمة كما يُحيي الأرض بوابل القطر. يا بُنيّ: لا تقرب السلطان إذا غضب والبحر إذا مدّ. يا بُنيّ: اتخذ تقوى الله تجارةً، تأتك الأرباحُ من غير بضاعة. شاور مَنْ جرّبَ الأمورَ، فإنّه يعطيك من رأيه ما قام عليه بالغلاء، وأنتَ تأخذه بالمجان. يا بُنيّ، كَذبَ مَن قال: إنّ الشرَّ بالشرِّ يطفأ، فإنْ كان صادقاَ فليوقد نارين ثم لينظر هل تطفىء إحداهما الأخرى؟، وإنّما يُطفىءُ الماء النارَ»، التمثيل والمحاضرة، ص. 35.

2 ـ «قال داود لسليمان عليهما الصلاة والسلام: لا تشترِ عداوةَ واحدٍ بصداقةِ ألف. يا بُنيّ: امش خلف الأسدِ والأسودِ(50)، ولا تمشِ خلفَ امرأةٍ»، التمثيل والمحاضرة، ص. 15.

3 ـ «عيسى عليه الصلاة والسلام قال: الدنيا قنطرة فاعبرُوها ولا تعمرُوها. استعيذوا بالله من شِرار النساء، وكونوا من خيارهنّ على حذر. ما أكثر الأشجار، ولكن ليس كلّها بمُثمر. وما أكثرَ الثمار، وليس كلها بطيّب. وما أكثرَ العلوم، وليس كلّها بنافع. وما أكثرَ العلماء، وليس كلّهم بمرشد. ومرَّ بقتيلٍ فقال: قتَلتَ فقُتلتَ، وسيُقتلُ قاتُلك»، التمثيل والمحاضرة، ص. 15.

لماذا عُهدة النّساك؟

قبل الإجابة على هذا السؤال سنستعرض بعض التسميات الأخرى التي استُخدمتْ من قبل كتّاب ومترجمين عرب، قاموا بترجمة العنوان فقط، وأفضى بهم إلى استدلالات مختلفة للعنوان، لم تسترشد لا بتمهيد ألفُنس ولا بنصوص حكاياته، والتي كانت ستُلقي الضوء على هدف الكتاب والتسمية من بعد.

كان التعريب الأول لعنوان الكتاب تحت اسم (مباحثُ العلماء)، ورد في كتاب تراث الإسلام(51).

تعني الكلمة Disciplina وهي كلمة لاتينية (تهذيب، تدريب، ضبط)، ولها المعنى ذاته بالإنجليزية مع اختلاف بسيط في الكتابة Discipline(52)، وهي لا تعني بأي حال من الأحوال مبحثا أو مباحث، فمعناها متعلق بـ (المُربّي) الذي يقوّم أخلاق المُتعلّم.

يستخدم ألفُنس كلمة Disciples في حكاية (كبير الخياطين وصانعه نِدوي)، معبرة عن الصناع المبتدئين (المُنضبطين)، ويستخدمها بمعنى المُريد ـ التابع ـ تماما، كما بصيغة التخاطب الحميمية بينهما حين يرد تساؤل في إحدى الحكايات على لسان المُريد: How shal i behave me to be accompted among sapient disciples» كيف أتصرف لأكون مُريدا فاهما؟(53)، ولكن في أمثلة أخرى تغيب الحميمية، ورغم غيابها يستخدم ألفُنس كلمة Disciple.

وعليه ثبتنا استخدام كلمة مُريد حيثما ورد تخاطب بين المعلم المُربي (الشيخ) Maister وبين الُمريد Disciple (54).

يتمثل الشق الثاني من العنونة في كلمة Clericalis من Clerical، وهي تعني في اللغتين الإنجليزية واللاتينية: (إكليروسي، نُسّاك)(55)، ولم نر موجبا لترجمتها بالعلماء(56).

وكانت الترجمة الأخرى للعنوان (سُلكُ الكُتّاب)(57)، التي اختارها حسن مؤنس مترجم كتاب تاريخ الأدب الأندلسي سابق الذكر، إذ يُحيلنا في هامشه إلى نص ورد في الإسبانية القديمة(58)، معللا سبب اختياره للتسمية أعلاه ومستندا إلى رأي مترجم كتاب جورج تيكنُورM.G Technor، تاريخ الأدب الإسباني، والمترجَم عام 1851، من قبل باسكوال دي

جايانجوس Pascal de Gayangos، وفيه يقول جايانجوس: «إن كلمة Claricales كُتبت باللغة القشتالية القديمة Clericaliskalimate، وكانت تعني الرجل المتعلم أو المثقف»(59).

إستنادا إلى جيانجوس نستنتج من أن الكلمة في زمنها تُطلق على المتعلم عموما، وليس بالضرورة أن يكون مُتعلّم دين، وهو أمر مشابه إلى حدٍّ ما لكلمة فيلسوف التي كانت تطلق على المسلم، والتي ذكرناها فيما سبق، وعليه لم نجد ما يُبرر تحويل كلمة نُسّاك إلى كُتّاب.

بدا الكتاب ظاهريا كأنه موجه إلى النُسّاك بسبب العنوان والتمهيد، إذ يتكلم المؤلفُ في التمهيد عن شروط الحياة بشكل يُسترشد بها، واعضاً من يقرأ ومن يسمع، مصرحاً بذلك ومتحدثاً عن الإنسان المتلقي، أما ما يذكره لاحقا من (أن الكتاب موجه ليبحث في كيفية تدريب الكُهان ولتسترشد به الكنيسة وأنه لن يخرج عن تعاليمها)، فلدي هنا توضيح يخص سلطة الكنيسة آنذاك، إذ أن صاحب الكتاب تنصّر حديثا، ومن الطبيعي أن ينتظر مباركة الكنيسة له ولكتابه، وربما لو عاش الكاتب في ظرف وزمن آخرين لاستنبط له تسمية أخرى، كي يُحدد من خلالها مقصديته وقارئَه المحتمل، أي لمن يُوجه إليه الكتاب، ليبرىء ذمته من تداعيات توجهات لا تُقنع كلّ القراء الذين لا ترتضيهم الكنيسة، هواجس المؤلف هذه وأثرها على المتلقي، تُبرز خوفه الواضح من فِتن يريد تلافيها، وهو المُعَمّد الجديد العهد.

إذن لم يكن الكِتابُ موجها للكُتّاب في الكنيسة أو غيرهم فقط، بدلالة ما جاء في التمهيد: «فكرتُ في كتابة هذا الكتاب من أجل كلّ من سيقرَأهُ ويسمع عنه، لأنّي لا أريد سوى نور الحكمة التي وهبني إياها العلي القدير»(60)، وفي موضع آخر من التمهيد: «رأيت بأن لا أستفيض في سرد ما يمكن أن يُحدث نوعا من الالتباس لدى القارئ أو ذاك الذي سيسمع عن هذا الكتاب، وبالتالي يسبب نوعا من سوء الفهم، ويخلط بين المفاهيم»(61).

وعليه فالكتاب ليس موجها إلى العلماء ولا إلى كتاب يقرؤون فحسب، بل أيضا إلى أولئك الذين يسمعون حكايات الكتاب باعتباره نصّا حكائيا.

يقرّ الكاتبُ ذاته بأنه حين قام بترجمته إلى اللاتينية استثنى منه كلّ ماقد يُثير حفيظة الكنيسة: «واستثنيتُ منه وقدر الإمكان أي شيء يتعارض أو يخرج عن معتقداتنا وإيماننا»(62)، أي أنّه

قام بمراجعة الكتاب بنسخته السابقة للاتينية، وعدّل وحذف منه ما يتعارض مع المعتقد الجديد.

نستنتج من هذا أن الكتاب ربما كان بعنوان آخر، وحين ترجمه صاحبه تم تغيير العنوان ليناسب المعتقد الجديد(63).

أُريد للكتاب بمجمله أن يكون ميثاقا يَسترشدُ به النسّاك (المُريدون) في حياتهم، أي (عُهْدَة) (64).

ولو شئنا ترجمة حرفية للعنوان فيجب أن تكون (تهذيب النُسّاك)، ولأننا لا نميل لترجمةٍ لا تسترشد بروح النصوص، فقد اجتهدنا بتسميتها (عُهدَة النسّاك)، ليكون عنوانا عربيا مميزا لمتن تراثي أندلسي مهم.

أما فصل القول في ترجمة العنوان، وبعد كلّ هذه القرون من شهرة الكتاب، فإنه وبأي لغة كان، يجب أن يظل كعنوان فرعي أو يستأنس به، ويبقى عنوانه الأساس Disciplina Clericalis.

استقرَّ رأينا في البدء على اختيار حكاية (القوّادة ودموع كَلبَتها) كعنوان فرعي للكتاب بسبب شهرتها، وعدلنا عن هذا الرأي، كي لا يطغى العنوان الفرعي على مضمون وهدف الكتاب، واستقر الرأي على (كتاب الحكايات المشرقية) كعنوان فرعي لحكايات ألفُنس.

من أهم الكتب التي تناص معها ألفُنس بالإضافة إلى كتابي مائة ليلة وليلة وكليلة ودمنة، هي الكتب المقدسة في الديانات الثلاث، آخذاً منها الاستعارات، وإن كان لايذكر تسمياتها، عدا المونولوج الأخير (ناسك يؤنب روحه)، والذي نعتقد أنه كُتب خصيصا للنسخة اللاتينية، إذ يرد في خاتمته ذكر السيد المسيح والثالوث المقدس. ترد بعض الأحاديث النبوية على لسان الحكماء، كما في حديث نبوي في حكاية (التاجر الحكيم والملك قصير النظر) وينسبه لحكيم، وأيضا ذكر لآية قرآنية في حكاية (الخادم الكسول ميمون)، وهو ينسبها لحكيم، يُشار إلى أن اليهودية لا تُذكر سوى في مقتطفات عن حِكَم سليمان، ويتجنب ألفُنس نسبها إلى داوود وسليمان، وذات الشيء فيما يخص قول ما لعيسى ابن مريم وينسبه لحكيم، ويذكر اليهود فقط بجملة، حين يسأل التلميذ معلمه: «ماذا أفعل، إن دعاني أحدهم لوليمة؟، فيُجيبه الأخير: «إفعل مثلما تأمر قوانين اليهود [...]»(65).

تظهر شخصية العربي جلياً كشخصية ذكية فطنة، ذات حكمة، خَبِرتْ الحياة، بل وتؤثر الموت فداءً للصداقة، كما في الحكاية التي تتحدث عن المصري وصديقه البغدادي.

يستشهد ألفُنس بالشعر العربي كثيرا، ويُفرّق في حكاياته بين الشاعر وناظم الشعر، وللأسف لم يبق سوى المعنى من هذا الشعر، بسبب تعرّض النص إلى ثلاث ترجمات، أولا من العربية إلى اللاتينية، ومن الأخيرة إلى الإنجليزية، وثالثا إلى العربية مرة أخرى، ولذا لم يكن سهلا الاستدلال على الأصل الذي أُخذ عنه الشعر.

حين يبدء الكاتبُ بسرد حكاية ما، فإنه يستخدم الطريقة القديمة (حدث أنه، يُروى أنه، قِيل لي... إلخ).

عن كتاب الحوار

بالعودة إلى كتاب الحوار الذي يُنسب إلى بطرس ألفُنس، والذي لم يُترجم إلى الإنجليزية إلا مؤخرا:

تاريخ كتابته وفق مترجمه هو عام 1109م، والمفروض أنه كُتب قبل سنوات قليلة من الـ (الدسبلينا)، كما يذكر ذلك هولم Hulme، مستندا إلى ماذكره لابودري Labouderie(66) في تقديمه للنسخة الفرنسية.

لم يولِ سودريلم Söderhjelm هذا الكتاب أهمية كبيرة، رغم أنه ـ سودريلم ـ نقّب في أرجاء مكتبات إنكلترا وأوربا عن (الدسبلينا) ليكشف 63 نسخة لاتينية لها، تؤكد نسبها لبطرس ألفُنس، وتؤكد من أنّها جاءت بعد سنة ميلاده التي أرّخها بنفسه حين ذكر سنة تعميده في هذا الكتاب.

وانبرتْ لدينا أسئلة بعضها قد لا يستطيع الإجابة عنها سوى بطرس ألفُنس:

هل كان دافعه لكتابة الحوار ـ بعد تحوله إلى النصرانية ـ الإضطهاد لبني قومه في فرنسا وانكّلترا، وخوفه من أن يصل هذا الاضطهاد عاجلا أو آجلا إلى إسبانيا؟

كيف تغيّرت لغة ألفُنس في الدسبلينا خلال سنوات قليلة من الحدّية إلى الإعتدال؟

وكيف صار ميّالا إلى المسلمين كما سنشاهده في شخصيات الحجاج المسلمين، والشخصيات العربية الأخرى في حكاياته، على خلاف لغته في الحوار؟

لماذا لم يُورد ألفُنس في الدسبلينا مثالا أو حكايةً من الأمثال التي تمتلىء بها صفحات العهدين القديم والجديد؟، فهو يذكر بعض الأمثال وينسبها إلى حكيم عربي أو مجهول عوضاً عن نسبها إلى داود.

ولماذا تجنب نسبَ المواعظ التي وردت على لسان عيسى ابن مريم إلى صاحبها، بدلا من نسبها لحكيم؟

هل فعلا أن الحوار كُتب في القرن الثاني عشر؟

ماهو سبب المرارة في حوارات ألفُنس في الدسبلينا، وشكواه من أن الزمن يمضي إلى الأسوأ، ومن أنه زمن ماعاد يَجلُّ العلماء والفلاسفة، بل المخادعين، وأن رفقة الملك لا تجلب الخير لصاحبها وهي على حدّ قوله: مضيعة للوقت؟

هل ندم ألفُنس على رفقته للملك هنري الأول كطبيب، أو لألفُنسو الأول ـ أو السادس ـ، ولم يحض حينها بالمنزلة التي يستحقها كعالم؟

إن كان ذلك، ألم يشفع له تحوله إلى المسيحية؟، بل وكتابته كتابا يُثبت به إيمانه الصادق من خلال دحضه لهرطقات الديانات الأخرى؟

والسؤال الأهم: لِمَ كتب ألفُنس الحوار باللاتينية مباشرة، فيما عاد ليكتب الدسبلينا بالعربية؟

هل هو تكفير عن شيء ما اعترى نفسه؟

مرارته من ذلك في بعض حوارات الدسبلينا واضحة، وتستحق دراسة بنيوية انثربولوجية مقارنة بين كتابيه الأشهرين، وهو أمر لا يتسع له المقام هنا.

ملخص لتقديم Wiliam H. Hulme

طبعة 1919، 71 صفحة

المقدمة:

الصفحتان الثالثة والرابعة

ـ شرعتُ في العمل على هذه المخطوطة عام 1914، وتوقفتُ عنها بسبب اندلاع الحرب العالمية الأولى، ثم استأنفت العمل بها عام 1919، سيصل عملي هذا إلى عدد محدود من الباحثين والقراء والمهتمين بدراسة الحكايات الشعبية في العصور الوسطى بشكل عام، وللمهتمين بحكايات بطرس ألفُنس بشكل خاص، لأن هذه النسخة تقدم نصّاً موثوقا.

ـ أخترتُ هذه المخطوطة دونا عن غيرها من المخطوطات التي تعود لنفس الكاتب، لأنها نسخة غير مشكوك بها ومعروفة.

ـ قمتُ بسد أي نقص أو ثغرة في هذه النسخة (الإنجليزية الوسيطة) بالرجوع إلى النسخة اللاتينية، سواء كانت هذه النواقص والثغرات في حكايات مفردة أو كاملة، منوها لذلك في الهوامش.

ـ علامات الترقيم خاصة بي.

المدخل:

1 ـ الصفحة الخامسة

ـ تعريف ببطرس ألفُنس، مؤلف المجموعة الشعبية للحكايات الشعبية الشرقية أو الحِكَم التي تعود للعصور الوسطى والمعروفة باسم Disciplina Clericalis، وُلد مؤلفها في مدينة وشقة Huesca من مملكة أراغون Aragon، كان يهوديا عُرف قبل تحوله إلى المسيحية باسم الحاخام موسى سفردي Rabbi Moses Sephardi أو موسى الإسباني Mosses the Spaniard، وتم تعميده باسم Petrus Alphonsus، الجزء الأول من الإسم تيمنا باسم الرسول الذي وافق ميلاده يوم التعميد، والجزء الثاني من الاسم تيمنا بألفُنس الأول

Alphonsus I، وعلى حد تعبير بطرس ألفُنس: «امبراطور اسبانيا المجيد ووالدي الروحي الذي عمّدني».

ـ وفقا لـ Söderhjelm كان بطرس ألفُنس أحد المثقفين اليهود الكثيرين في العصور الوسطى الذين عملوا كوسطاء بين الثقافتين الشرقية والغربية.

ـ نشر بطرس ألفُنس بعد تعميده بفترة قليلة كتاب الحوار Dialogi، أو حوار ضد اليهود Dialogus contra Judaeos، وفيه يدافع بطرس المسيحي عن المسيحية ضد هجوم موسى اليهودي، الذي يمثل موقف المؤلف قبل تحوله وكذلك موقف اليهود الأرثوذكس في عصره، وهذا ما أشار له Labouderie، إذ يذكر نسخة طُبعت في كولن عام 1536م، تحت عنوان: (حوار يستحق القراءة، حول تخرصات يهوذا) Dialogi lectu dignissimi, in quibus impiae Judaeorm opiniones

ـ وفقا لـ Söderhjelm فإن الجزء الثاني من اسمه Alfons هو الإسم الصحيح على الرغم من كتابته بأشكال عدة: Aldefunsi, Adelfonsi, Amphulsi, Alfunsi, Alfonsi, Alphunsus, Alfonsus, Anfonsus, Anfulsus... إلخ.

2 ـ الصفحة السادسة

ـ يؤكد Söderhjelm أن الكتاب كُتب بعد فترة ليست طويلة من بداية القرن الثاني عشر.

ـ إن هذه الحكايات كانت أقدم مجموعة كاملة من الحكايات الشرقية التي عُرفت في العالم الغربي، والتي حظيت بشعبية وانتشار واسعين خلال أربعة قرون من القرن 12 إلى القرن 15، وقد يقول المرء دون مبالغة إن حكايات بطرس ألفُنس أكثر الآداب الغربية شعبية، والتي افتتحت نوعا من الأدب النثري الذي سيطلق عليه لاحقا بالرواية.

ـ تم استخدام هذه الحكايات ولعدة قرون من قبل آباء المسيحية للتوضيح والقاء الخطب.

ـ اتخذ طابع حكايات بطرس ألفُنس صيغة الحكاية المستقلة، غير المرتبطة بأي خطة أخلاقية أو غرض ديني، ولكن الغرض الأخلاقي واضح في تضاعيفها.

ـ قامت الحكايات بقلب ترتيب المصالح الإنسانية متخذة خطوة ملحوظة في اتجاه افتتاح نوع جديد من أدب النثر.

3 ـ الصفحة السابعة

ـ قام كلّ من هيلكا وسودريم Söderhjelm and Hilka بتعداد وتنصنيف 63 مخطوطة من النسخ اللاتينية لمؤلفها بطرس ألفُنس، يرجع تاريخ هذه النسخ إلى القرون 12 ـ 16 ميلادي، والتي تم العثور عليها في مكتبات عديدة في إنكَلترا وأرجاء القارة الأوربية.

ـ نعتقد أن الترجمات الفرنسية ظهرت بشكل أبكر من غيرها.

4 ـ الصفحة الثامنة

ـ يقدم Söderhjelm لنا أسماء عديدة لكُتاب وواعظين من القرون الوسطى تأثروا وأخذوا من حكايات ألفُنس منهم على سبيل المثال: Jacques de Vitry, Albertano da Brescia, Odo of Cheriton, Étienne de Bourbon, Nicholas Bozon, Robert Holcot, Alphabetum Narrationum, Gesta Romanorum.

ـ إن الطبعة الأولى المترجمة إلى الفرنسية كانت في العام 1484م، وتم إعادة طبعها عشر مرات في الخمسين سنة التالية.

ـ تُرجم الكتاب إلى الهولندية والإيطالية عام 1485م، وإلى البوهيمية عام 1487م، وتلتها ترجمات لاحقة إلى الإسبانية والكتلونية.

5 ـ الصفحة العاشرة:

ـ إن هذه النسخة المترجمة إلى الإنجليزية الوسيطة نُشرت في النصف الثاني من القرن 15م.

6 ـ الصفحة الحادية عشر

ـ نعتقد أن الحكايات الثلاث الأخيرة غير مكتملة ومجتزأة وإنها أُضيفت لاحقا لحكايات ألفُنس، ويرجح أن ذلك تم بفعل ناسخ ما، كان يجهل اللاتينية، وهي زائفة(67).

ـ تم النسخ من اللاتينية بلامبالاة، وأن الناسخ كان في عجلة من أمره، أو جاهل باللاتينية.

ضمّتْ الصفحات من 12 ـ 14 فقرات طويلة من تمهيد بطرس ألفُنس لكتابه، قام المحقق بالتعليق والتهميش عليها(68).

ملخص لتقديم Jean Labouderie

طبعة 1824م، 219 صفحة

الصفحات من 11 ـ 15

ـ النسخة الفرنسية صادرة من مطبعة رينيو rignoux، عام 1824 وترجمة Jean Miellot من القرن الخامس عشر، وبتقديم من جون لا بودوري الأسقف العام لمقاطعة أفينونVICAIRE GENERAL D D'avignon.

ـ إسم المؤلف ببير ألفُنس Pierre Alphonse.

ـ خلتْ الحكايات من العنونة في هذه النسخة، واكتفى المترجم بالترقيم اللاتيني إلى (حكاية FABULA) تتفرع منها (قصة CONTE).

ـ يورد لا بودوري بعض الآراء في نسب هذه الحكايات لببير ألفُنس من عدمه، إذ يقدم لمحة بأسماء كتاب ظُن أنهم كتبوا حكايات تشبه حكايات ألفُنس، أو ذكروا مقولات فلسفية قام بذكرها ألفُنس قبلهم.

1 ـ يركز لا بودوري على قصيدة تهكمية مكتوبة باللاتينية ضد السلطة الكنسية في روما، ونسبها إلى ببير ألفُنس، إسم القصيدة De PAVONE FIGURALI الأشكال الطاووسية(69)، ويقول في هذا: «هذه القصيدة الصغيرة الموجهة ضد رذائل المحكمة وفسادها

بروما وكذا ضد رجال الدين، ولا يمكن أن تعود لبيير ألفُنس فهذه القصيدة تأتي بعد مؤتمر ليون الأول المنعقد سنة 1245م من جهة، ومن جهة أخرى كيف يمكن لمعتنق جديد حديث العهد بالمسيحية أن يكتب أبياتا لاذعةً بهذا الشكل».

وبعد أن يورد أبيات القصيدة باللاتينية(70) يُعقّب قائلا: «إذن سيكون من الغباء الاستمرار في ذكر المؤلفات المنحولة لبيير ألفُنس أو حتى نقدها فهو ليس بالأمر المهم».

2 ـ يؤكد لا بودوري أن تاريخ وفاة ألفُنس مجهول، لكنه يورد تاريخ وفاة منسوبا إلى CASIMIR OUDIN هو العام 1110 م.

3 ـ يذكر لا بودوري اسم الحاخام ناتان RABBI NATHAN وكتابه اختيار الأحجار الكريمة MIVCHAR HAPENINIM، قام ناتان بترجمة كتاب للحاخام جيديا بدراشي RABBI JIDAIA BADRASCHI، احتوى كتاب بدراشي الذي تم تأليفه في العام 1298م على الكثير من حكم الفلاسفة اليونانيين والعرب، والتي ورد قسم منها في كتاب بيير ألفُنس.

4 ـ يتم ذكر كتاب أمثال عربية كتبه شخص يدعى أبي عُبيد(71) ABI UBEID وقد يكون ألفُنس قد أخذ منه لحكاياته، تُرجمت أمثال أبي عبيد إلى اللاتينية من طرف THOMAS ERPEN and SCARLIGER .

5 ـ هنالك كاتب اسمه ميتر بيير الأسباني توفي سنة 1277م ويُعتقد أنه مؤلف حكايات LA DISCIPLINA CLéRICALIS ولكن لا مبكيوس Lambécuis لا يظن أنه بيير ألفُنس، لأن الأخير عاش في قرن سابق، ولكن المؤرخ رودريكيز دي كاسترو JOSEPH RODRIGUIEZ DE CASTRO يؤكد في كتابه المعنون الكُتّاب الحاخامات اليهود ESCRITORES RABINOS ESPANOLES أن الكتاب لبيير ألفُنس.

ـ يرد في نهاية حكايات هذه النسخة توضيح في الصفحة 204، يقول: «إن الترجمة تمت من قبل بيدرو ألفونسو من العربية إلى اللاتينية» EXPLIET CLERICALIS DISCIPLINA A PETRO ALFUNSO DE ARABICO IN SPANISHUM.

ـ هنالك ترجمة فرنسية شعرية للكتاب تحت عنوان (توبيخات أب لإبنه).

ملخص لتقديم Angel Gonzalez Palencia

طبعة 1948، 238 صفحة

النص اللاتيني ص 1 ـ 88

النص الإسباني ص 89 ـ 184

ملخص المقدمة:

ـ 7 إلى 9: عن بطرس ألفنس واعتناقه المسيحية وفهم تاريخ معتقداته وديانته اليهودية وكيفية هجره لها وعن كتابه (الحوار) الذي يتبنى به الديانة الجديدة بالضد من معتقداته السابقة. وهو يعتبره بمثابة كتاب مؤكد من تأليف ألفنس ويناقش الفكرة على هذا الأساس.

ـ من 9 حتى 14 عن دوره كعالم رياضيات وعالم فلكيات (فلكي)، وهو يتخذ من دراسات الباحث الاسباني خوسي ميّاس الذي حسب ما يقول قد عثر على بيانات جديدة تتعلق بألفُنس وسفره إلى إنكلترا كطبيب للملك أنريكه الأول وذلك بعد تعميده حوالي عام 1110م. وخلال مدة تواجده هناك أصبح معلماً في علوم الفلك ونقل كل علومه المعروفة على أحد رجال الدين المدعو (والشر) Walcher وهذا بدوره نقلها وكتب فيها ما تعلمه ويذكر في هذه المخطوطة الموجودة في مكتبة أوكسفورد بان الفضل يعود فيها لمعلمه ألفُنس Petrus Anfulsus وفيها يقوم باستخدام النظام العربي في قياس درجات تحوّل النجوم.

شكّلتْ معرفته بهذه العلوم وما أضاف العرب والمشرق من تجديدات في حركة الشمس والقمر والنجوم وهي مغايرة لعلوم الغرب، طفرة مهمة لـ (والشر) في أن يستمر على منوالها ويكتب فيها وهو يشيد بمعلمه ألفُنس.

وهذه العلوم وغيرها في الرياضيات والكيمياء والموسيقى والطب مما يعرفها ألفنس ليست غريبة خاصة وأنه يذكرها في الدسبلينا ولو بشكل عابر ومختصر.

ـ من 15 حتى 20 يتحدث فيها عن الطبعات الأولى المعروفة من الدسبلينا وترجماتها إلى لغات أخرى، وعدد المخطوطات التي تم العثور عليه، ويثير استغرابه أن الكتاب معروف جداً في إسبانيا وخرج من حجر الترجمة الإسبانية ولكن لم يتم ترجمته للإسبانية إطلاقاً، إلا فيما تم أخذه واستعارته ضمن كتب تالية مثل كتاب الأمثال والكوندي وغيرها. وتعد هذه الطبعة الأولى الكاملة لدسبلينا بالإسبانية.

ـ أصول حكايات الدسبلينا من 25 حتى 35 وهو الجزء الموسع الذي يرد فيه بالتفصيل كل ما نعرفه اليوم عن أصول الحكايات فيها وهو يذكرها بالتفصيل مع أسماء الكتب، على سبيل المثال كليلة ودمنة والف ليلة وليلة، ومن ثم أثرها فيما يجيء من كتب إسبانية وبلغات أخرى، كما يورد في النهاية قائمة للكتب التي تضم حكايات الدسبلينا حسب القائمة التي وضعها شاوفين Chauvin في طبعته للدسبلينا.

ـ من 36 حتى 38 يناقش فيه بعض أراء العلامة منديث بيدال حول الدسبلينا وأصولها المشرقية.

عن الطبعة الإسبانية من 38 حتى 40

يعتمد فيها على النص اللاتيني في طبعة هيلكا وسوديريم Hilka y Söderhjelm المنشورة عام 1911. ويعتمد على النصوص المطابقة والتي وردت في (كتاب الأمثلة) في مخطوط المكتبة الوطنية في مدريد برقم 1182، وفيما لو وجد نقوصات في هذه الطبعة فهو يلجأ لمخطوط المكتبة الوطنية في باريس من عمل موريل فاتيو Morel Fatio لعام 1878م برقم 493SS. وبما ان العديد من الحكايات مبتسرة في كتاب الأمثلة، فهو يلجأ لسد الفراغ إلى كتاب (الخرافات المجموعة) والمطبوع في نفس كتاب (إيسوب) المنشور في سرقسطة من عام 1489م.

ـ إضافة ملحق خاص في نهاية الكتاب بالحكايات المحفوظة في كتاب إيسوب والتي جاءت بنصوص مغايرة عن حكايات طبعة كتاب الأمثلة المعتمد من قبله.

(4) – Disciplina Clericalis, Peter Alphonses, Cleveland, Ohio, MAY, 1919.

(5) – (Wiliam Henry Hulme (1862 - 1934)، وهو أكاديمي أمريكي، أستاذ للغة الإنجليزية في جامعة Case Westren Reserve، كان كتابه هذا هو الأخير قبل وفاته، وعُدَّ ذو أهمية ثقافية كبيرة من قبل مجموعة من الدارسين الأمريكان والتي أوصت بإدراجه كجزء من (القاعدة المعرفية الحضارية) في الولايات المتحدة، ومن ثم أوصت أن يكون مشاعا للعموم وليس من حق أي كيان (فرد أو شركة) المطالبة بحقوق الطبع والنشر، ومن الضروري حفظه وإعادة طبعه وإتاحته للجمهور بشكل عام.

(6) – Disciplina Clericalis, Del texto Español, Pedro Alfonso, Madrid, Granada, 1948.

(7) –Angel Gonzales Palencia - (1889 – 1949)، درس الفلسفة واللاهوت، وشُغف بالمخطوطات، تبوأ منصب أستاذ كرسي الأدب العربي في جامعة مدريد، وهو عضو أكاديمية التاريخ وعضو الأكاديمية الإسبانية.

(8) – Discipline de clergie, Pierre Alphonse, De l´ imprimerie de RIGNOUX, Paris, 1824.

(9) – Jean Labouderie - (1776 – 1849)، رجل دين ومستشرق وكاتب لغوي فرنسي، كان مولعاً باللغات الشرقية القديمة، والترجمات الدينية من اللاتينية.

(10) – Jean Miellot كاتب وكاهن وشاعر فرنسي، ومترجم مخطوطات عن اللاتينية، توفي عام 1472م، أنتج حوالي 22 عملا من تأليفة، عدا عشرات الترجمات، التي أثّرت في تطور أسلوب النثر الفرنسي فيما بعد.

(11) ـ كُتب اسم بطرس ألفُنس بطرق عدّة: بيتر ألفُنس، بيير ألفُنس، بيتر ألفُنسو، بيترو ألفُنسو، بيدرو ألفُنسو... إلخ، يُنظر في هذا: ملخص لتقديم Wiliam H. Hulme في هذا الكتاب.

(12) ـ آنخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسن مؤنس، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011، ص. 648.

(13) ـ Enecyclopædia Britannica, TITLE: Judaism (religion).

(14) ـ ينقل الباحث مانويل أريكَوي Manuel Ortuno Arregui رأيا في مقالة صدرت له عام 2016، مشككا بتاريخ سنة التعميد، مستندا إلى أن التقويم الإسباني يبدأ في العام 38 م، وأن ماذكره ألفُنس عن سنة تعميده في مقدمته لكتاب الحوار، نُسخ بشكل سيء، وأنه من الممكن أن يكون تعميده العام 1144م، ينظر:

FILOLOGIA CLASICA Y MEDIEVAL, ArtyHum Revista de Artes Humanidades, nr 24, Vigo 2016, p. 44. والهامش (68)

(15) ـ تُطلق تسمية السفارديم حديثا على يهود إسبانيا والبرتغال، أما قديما وابتداء من القرن الثامن الميلادي فإن كلمة سفارد وهي كلمة عبرية تُشير إلى إسبانيا.

(16) ـ (E V), p. 5.

(17) ـ يخبرنا Hulme استنادا إلى رأي لابودوري، أن التيمّن كان بألفُنسو السادس ملك قشتالة وليون، (E V), p. 5، وقد يكون لابودوري على حق، لأن ألفُنسو السادس (1040 ـ 1109) هو من اهتم بالترجمة من العربية إلى اللاتينية، وفي عهده أُنشئت مدرسة طليطلة للترجمة، التي استقطبت الكثير من المترجمين المسلمين واليهود.

(18) ـ يتم هنا ذكر السنة الإفتراضية لذهابه لإنكَلترا 1115م، وهذا يعارض سنة وفاته التي ذكرتها الإنسكلوبيديا البريطانية، أو النسخة الفرنسية، يُنظر: محمد نجيب بن جميع، الأدب الألخمي والموريسكي تأصيل الكيان، مجلة دراسات أندلسية، تونس، عدد 30، ديسمبر2003، ص. 337.

(19) ـ يُنظر: كليفورد بورث، جوزيف شاخت، تراث الإسلام الجزء الأول، ترجمة محمد زهير السمهوري، حسين مؤنس، إحسان صدقي العمد، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني

للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يونيو 1998، ص. 35، المقصود هنا ماورد عن الإسلام في كتاب الحوار.

(20) ـ يُنظر: (ملخص لتقديم Wiliam H. Hulme) في هذا الكتاب.

(21) ـ يوضح ألفُنس في كتاب الحوار، سبب اختياره للمسيحية دونا عن غيرها من الأديان ـ تحديدا اليهودية التي يتهمها بالهرطقة ـ من خلال حجج مستمدة من الفلسفة واللاهوت وعلم الفلك والطب والفيزياء، ويعتقد مترجم الحوار أنه كُتب عام 1109 م، يُنظر في هذا:

Petrus Alfonsi, Dialogue against the jews, trans: Irven M. Resnick, Catholic University of America, press 2006.

(22) ـ تختلف هذه الفترة عن الفترات التي تلتها تماما مابعد سقوط غرناطة 1492م، ونشوء محاكم التفتيش بمراسيم ملكية بين الأعوام (1492 ـ 1502) مطالبة المسلمين واليهود إما تحويل ديانتهم أو ترك إسبانيا.

(23) ـ يُذكر أن مدينة وشقة التي وُلد بها ألفُنس سقطت في العام 1096م، وأصبحت عاصمة أراغون في ذات العام.

(24) ـ محمد نجيب بن جميع، الأدب الألخمي والموريسكي، مرجع سابق، الهامش (1)، ص. 15.

(25) ـ «لَمّا ذهب الموريسكيون ومعهم صناعاتهم وتجارتهم، أصبحت الزراعة هي النشاط الوحيد للشعب»، أميركو كاسترو، إسبانيا في تاريخها المسيحيون والمسلمون واليهود، ترجمة علي إبراهيم منوفي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2003، ص. 195.

(26) ـ لوثي لوبيث ـ بارالت، أثر الإسلام في الأدب الإسباني، ترجمة حامد يوسف أبو أحمد وعلي عبد الرؤوف البمبي، مركز الحضارة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2000، ص. 33.

(27) ـ «تشكّلت في فترة لاحقة وبعد قرون رؤيةٌ أخرى حول العالم الإسلامي بوصفه مهدا لفلاسفة عظام، إحدى أسباب هذه الرؤية هي الترجمة، خصوصا بعدما اكتملت ترجمة المجموعة الأولى لمؤلفات ابن سينا وأخذت تروج في أوربا وتركت تأثيرا بالغا، وتلتها ترجمات لفلاسفة آخرين، هنا تشكلت صورة جديدة مغايرة للصورة السابقة، (صورة الكيان السياسي الذي يسيطر عليه دين معاد ومغلوط)، وهي الصورة التي خلقتها الخرافات السخيفة والكريهة في أذهان الناس»، يُنظر في هذا: بورث وشاخت، تراث الإسلام، الجزء الأول، مرجع سابق، ص. 37.

(28) ـ قيل الكثير عن اليهود السفارديين وقد أفردت الباحثة لوثي لوبيث بارالت حيّزا كبيرا له في كتابها السابق الذكر أثر الإسلام في الأدب الإسباني، مرجع سابق، للمزيد تُنظر الصفحات 51 ـ 90.

(29) ـ سنكتشف في الحكايات أن ألفُنس اطلع على حوارات أفلاطون وعلى سقراط من خلاله، ويذكر اسميهما.

(30) ـ بلنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، مرجع سابق، ص. 648.

(31) ـ القصة الرابعة في اليوم السابع، من الديكاميرون: هي تماما مأخوذة من (الزوج الغيور والحجر المُلقى في البئر)، وكذلك القصة السادسة من اليوم السابع، فهي مأخوذة عن حكاية (الحماة والسيف المسلول)، وكذلك القصة العاشرة من اليوم الثامن، فهي مأخوذة من (حكاية الصناديق العشرة)، وأيضا القصة الثامنة من اليوم العاشر، فهي مأخوذة من حكاية (الصديقان الصدوقان)، يُنظر: جيوفاني بوكاشيو، الديكاميرون، ترجمة صالح علماني، دار المدى، الطبعة الثانية، بغداد، 2014، ص.428،417، 533، 634.

(32) ـ دون خوان مانويل، الكوندي لوكانور كتاب الحكايات والمسامرات والأمثال المفيدة، ترجمة وتقديم عبد الهادي سعدون، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، مشروع (كلمة)، 2016.

(33) ـ الكوندي لوكانور، مرجع سابق، تُنظر في هذا المقدمة الثرّة التي كتبها مترجم الكتاب، ص. 9 ـ 38.

(34) ـ صيغة الحكايات (الأمثال) هي ذات الصيغة بكلا العملين (حكاية بمثال)، وكذلك الحواريات التي تدور بين سيد وتابع، إلا أن التابع باترينيو ليس بمُريد يتلقى وحسب، بل هو ذو حكمة في كثير من الأحيان، وأن البطل يستخدم الإشارة إلى شخصه بالقول» وحدث هذا لي» وهذا الأمر نجده في حوارات الأب والإبن في الدسبلينا، كذلك في التأثر بكليلة ودمنة والقص على لسان الحيوان، وأيضا الخاتمة فيها التي أتت شبيهة بخاتمة الدسبلينا «ففي الجزء الأخير، تظهر الرغبة بتخليص الروح من مساوىء الحياة الفانية»، الكوندي لوكانور، مرجع سابق، تنظر:المقدمة، ص. 31، وسنلاحظ نفس هاجس القلق الذي رافق ألفُنس عند الأمير دون خوان مانويل، في غرض كتابه وخوفه من إساءة فهمه، إذ يقول «ولكن الرب يعلم أن الغرض من ذلك هو تعليم من لا حكمة لديهم ولا معرفة بالأدب»، ص. 40، وأيضا اختتام صاحب الكوندي لوكانور بعض أمثاله بالشعر.

(35) ـ (E V), p. 12.

(36) ـ يذكر أبو عبيد البكري في فهرس كتابه أكثر من 34 متناً في الأمثال استقى منها لكتابه، يُنظر: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، أبو عبيد البَكري، حققه وقدّم له: إحسان عباس، عبد المجيد عابدين، دار الأمانة ـ مؤسسة الرسالة ـ، بيروت، لبنان، 1971.

(37) ـ كليلة ودمنة، المطبعة الأميرية، بولاق، 1937.

(38) ـ نفسه، ص. 39.

(39) ـ نفسه، ص. 213- 223.

(40) ـ نفسه، ص. 24- 25.

(41) ـ نفسه، ص. 187.

(42) ـ مثال ذلك حكاية (غلام الخيل)، في مائة ليلة وليلة، هي ذاتها حكاية (الحماة والسيف المسلول)، وكذلك حكاية (دموع الكلاب)، هي ذاتها حكاية (القوادة ودموع كلبتها) عند ألفُنس،

مائة ليلة وليلة، تحقيق وتقديم محمد طرشونة، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، 2013. ص. 246، 256.

(43) ـ مازال كبار السن في المغرب يتداولون بعض حكايا ألفُنس بلهجتهم الدارجة، كحكايات شفاهية رواها الأقدمون.

(44) ـ نُرجّح أن هاتين الحكايتين، أضيفت إلى ألف ليلة وليلة في عصور متأخرة، من ضمن ما أضيف من حكايات كتاب (مخاطبات الوزراء السبعة)، وأن حكايات هذا الكتاب إما انّها: كانت معروفة في عصر ألفُنس، أو أنّه استقاها من نسخة ما من (مخاطبات الوزراء السبعة)، تُنظر مقدمة كتاب: مخاطبات الوزراء السبعة، تحقيق وتقديم سعيد الغانمي، منشورات الجمل، 2019.

(45) ـ حيثما ورد تخاطب بين الفيلسوف وابنه، فالمقصود: الحكيم وابنه، إذ أن ألفُنس يستخدم صيغة (قال العربي لابنه)، وأحيانا يستبدلها بـ (قال الحكيم لابنه).

(46) ـ تراث الإسلام الجزء الأول، مرجع سابق، ص. 417.

(47) ـ (E V), p. 13

(48) ـ «وإنما ذكرتُ هؤلاء أئتِساءً بأبي منصور، في تأليفه المشهور المتَرجم بـ يتيمة الدهر، في محاسن أهل العصر»، ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1997، ص. 32، وأيضا: ص. 34، 60، 546، 621.

(49) ـ الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، 1983.

(50) ـ نُرجّحُ أن الواو زائدة قبل الأسود، إذ إن الجاحظ في رسائله ذكر قولا منسوباً لشخص يُعرف بأبي عثمان: «ماراكب الأسد الأسود، والبحر الأخضر، والمصبور على السيف الحسام، بأحقَّ بجهد البلاء وشماتة الأعداء، ممن تعرَّض للمتصفّحين وتحككَ بالعيّابين، وحكَّم في عِرض

الحسدةَ المغتابين»، رسائل الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الجزء الأول، 1964، ص. 328 ـ 329.

(51) ـ حسن نافعه، كليفورد بوزورث، تراث الإسلام الجزء الثاني، ترجمة حسين مؤنس وإحسان صدقي العمد، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يونيو 1998، العدد (234) ص. 27.

(52) ـ Discipline: قاعدة أو قواعد لضبط السلوك أو العمل، تدريب على ضبط النفس، منير البعلبكي، المورد (قاموس أنجليزي - عربي)، دار العلم للملايين، بيروت، 1996، الطبعة الخامسة والثلاثون، ص. 278. وكذلك:

Jens Axelsen, Engelsk dansk Ordbog, Gyldenddals Røde Ordbøger, .Danemark, 1987.p.90

(53) ـ (E V), p. 20.

(54) ـ Disciple: (حواري، تابع، مُريد)، المورد، مرجع سابق، ص. 278.

(55) ـ Clerical: (إكليركي، نَسْخي، كتابيّ)، نفسه، ص. 184، وأيضا: (كهنوتي، إكليروسي)، قاموس أكسفورد، إنجليزي ـ إنجليزي،.Oxford University Pres. 1999

(56) ـ كانت الكتابة والنسخ جزء من الأعمال التي كانت تُعهد لنُسّاك الكنائس في حينها.

(57) ـ المترجم هنا يُخالف ترجمة بالنثيا لعنوان الكتاب، إذ ترجمه بالنثيا إلى (تعليم رجال الدين)، تاريخ الفكر الأندلسي، مرجع سابق، ص. 648.

(58) ـ نفسه، ص. 648.

(59) ـ ذكر جايانجوس التالي: «هذا الكتاب عنوانه الأمثال والنظام الكنسي، وهذا الكتاب ليس مؤلفا علميا، أو فلسفيا كما اعتقد البعض، ولكنه كتاب ترفيهي مثل غيره من الكتب التي كانت

موجودة في العصور الوسطى، ملىء بالقصص والحكايا، وكلمة ـ كنسي ـ لم يكن لها نفس المعنى الذي أُعطي لها فيما بعد، فهي في القشتالية القديمة Clericaliskalimate، كان يُفهم منها الرجل المتعلم أو المثقف»، M.G Technor تاريخ الأدب الإسباني الجزء الثاني، ترجمة: Pascal de Gayangos، مدريد، 1851، ص. 556 ـ 557.

(60) ـ يُنظر: تمهيد ألفُنس في هذا الكتاب.

(61) ـ المصدر السابق.

(62) ـ نفسه.

(63) ـ لاحظنا أن المترجمين العرب حين يتطرقون للدسبلينا، يتناولون العنوان فقط للحكم على تسميته وهدف مؤلفه من كتابته، انظر على سبيل المثال: محمد نجيب بن جميع، الذي يقول: «الكتاب موجه لتثقيف وتربية الرهبان»، الأدب الألخمي والموريسكي، مرجع سابق، ص. 337.

(64) ـ العُهَد هو جمع العُهْدَة وهو الميثاق، أبن منظور، لسان العرب، الجزء التاسع.

(65) ـ أنظر حكاية (رفقة الملك) في هذا الكتاب.

(66) ـ يتحدث لابودوري عن نسخة طُبعت في كولن عام 1536م، تحت عنوان (حوار يستحق القراءة، حول تخرصات يهوذا) Dialogi lectu dignissimi, in quibus impiae Judaeorm opiniones، أنظر: (ملخص لتقديم Wiliam H. Hulme) في هذا الكتاب.

(67) ـ لم نجد هذه الحكايات الثلاث في النسخة اللاتينية، ولا الفرنسية ولهذا لم نوردها في الترجمة العربية.

(68) ـ ترجمنا نص تمهيد ألفُنس كاملا، كما وجدناه متطابقا في النسخ الثلاث (اللاتينية والفرنسية والإنجليزية).

(69) ـ لغة القصيدة ساخرة، تنتقد الإنصياع الأعمى لأهواء رجال الدين في روما، الذين يريدون من الجميع أن يمتثلوا لأوامرهم وقراراتهم ويلتزموا الصمت، إذ في هذا الإنصياع البرهان على حبهم للمسيح وممثليه على الأرض.

(70) – His igitur sic propositis per singula, pavo

Voce gravi jubet ut taceatur, et ipse recensens

Quaedam dictorum, postremo continuando

Dictis dicenda sic omnibus intulit illud:

Constat quod nobis debetur amor dominandi,

Nos gemini vigiles noctis discernimus horas,

Vox etiam nostra torpentes excitat, et quod

Ore geris virus et cauda inluminat omne

Nos abunde decus non quirimus: ecce quod ipsa

Contulit imperii nobis natura coronam,

Et merito; scimus etenim regnar modeste,

Contenti propriis, nec curantes aliena;

Et sic competeret nobis imponere legem

Omnibus, et nemo regnar potest sine nobis, (F V), pp. 14, 15.

(71) ـ أبو عبيد: هو أبو عبيد الله البكري (1030 م ـ 1094م) جغرافي وموسوعي وأديب أندلسي، والإشارة أعلاه إلى كتابه فصل المقال في شرح كتاب الأمثال.

الفصل 5

كتاب عُهدة النساك

Disciplina Clericalis

Peter Alphonse

قال بطرس ألفُنس تابع المسيح مؤلف هذا الكتاب:

أحمد الله الذي أعطى الإنسانَ الحكمة والمنطق، وأحمده لكلّ ما أعطاني أنا الخطّاء.

فكرتُ في كتابة هذا الكتاب من أجل كلّ من سيقرؤه ويسمع عنه، لأني لا أنشد سوى نور الحكمة التي وهبني إياها العليّ القدير، وأسأله في البداية خاتمةً حميدةً لهذا الكتاب الذي كتبته وترجمته إلى اللاتينية(72)، وأن يجنبني زللَ أن أكتب شيئا يخالف مشيئته، وأن يكون معينا لي في كلّ شيء أريد القيام به.

تعمّقتُ في الدراسة لمعرفة أسباب وجود الإنسان، وراقبتُ نفسي ووجدتُ إن الله تعالى أعطى الحكمة والعقل للإنسان ليَتمعّن في هذا الزمن بتعاليمه المقّدسة، ويتعزز إيمانه بخالقه، ولكي يعيش بسلام ويرى أيَ طريق وأي سبيل سيسلكه ليوصله إلى ملكوته في السموات، وإن عاش الإنسان وهو يريد التعرف على مبادئه يكون قد عمل ذاك الذي من أجله قد خُلق.

عرفتُ بعد ذلك أن الإنسان بتكوينه لا يريد أن يتثقف ويتعلم حتى لا ترهقه معرفة الأشياء، وتكوينه جاف وخشن، ويجب أن يتم تليينه بطريقة من الطرق كي يتلقى بخفة وسلاسة.

ولأن ذاكرة الإنسان تنسى، فهنالك طرق عديدة تُعيد للذاكرة ما قد نسته.

لأجل ذلك ألّفتُ هذا الكتاب، جزء منه من أمثال الفلاسفة ومن حِكمهم ومن الأمثال والمواعظ العربية في الشعر وفي النثر(73)، وجزء آخر من تشبيهات بحيوانات وطيور، لكني رأيتُ أن لا أستفيض في سرد ما يمكن أن يُحدث نوعا من الالتباس لدى القارئ أو ذاك الذي سيسمع عن هذا الكتاب، وبالتالي قد يسبب نوعا من سوء الفهم وخلطا بين المفاهيم.

لكن الحكيم منهم سيتذكر مانساه ويسترشدُ بمحتوى هذا الكتاب المعنونDisciplina Clericalis، ليبحث في كيفية تدريب الكُهان(74)، واستثنيتُ منه، وقدر الإمكان، أيّ شيء يتعارض أو يخرج عن معتقداتنا وإيماننا، بمشيئة الله القوي الجبار ومعرفته ذلك الذي أؤمن به.

آمين.

يقول يوحنا(75)، وهو حكيم يسميه العرب بلسانهم «إدريس» Edriche، لإبنه: يجب أن تكون كلّ أهدافك مخلصة لوجه الله وستنال المجد دون مشقّة.

يقول أحد الحكماء: «من يخاف الله يخاف كلّ شيء»(76)، ويقول حكيم آخر: «من يخاف الله يحب الله ومن يحب الله يمتثل لأوامره»، ويقول العربي في أبيات شعرية: «لا تمتثل لأوامر الله إن كنتَ فقط تتظاهر بحبه، فذلك أمر لا يمكن إخفاؤه ولا يمكن تصديقه، لكن إن أحببته حقا فستستطيع، لأن مَن يحب يمتثل».(77)

ويقول سقراط لأحد مُريديه: «أترك النفاق، فهو يحدث المرارة والجفاء بين الناس، ففي قرارة أنفسنا نحن غير صادقين ولا مطيعين». سأله أحد مُريديه: «هل هناك نوع من النفاق يجب الحذر منه»، أجاب سقراط: «يُظهر الرجلُ طاعته لله بظاهره وليس بباطنه، عند ذلك نعامله كرجل صالح ونمنحه مكانةً عالية بيننا، فيما هناك شخص آخر يترك النفاق جانبا ويتصرف بالسرّ فهو يصوم ويتصدق وإن سُئل عن ذلك، يقول: الله أعلم بذلك، فهذا ليس بمنافق ما دام لا يريد الكشف عمّا فعله».

وأعتقد أن القليل من الناس من يتعامل بهذه الطريقة، احذروا من أن تكونوا مثل أولئك المنافقين حتى لا تضيّعوا أجر عملكم، ولكي يتحق ذلك قوموا بكلّ شيء بنيّة حسنة.

يقول حكيم آخر: «إذا أطعتَ الله حق طاعته، رِزقُك سيأتيك حسب رغبتك وحيثما كنتَ».

يقول بلعام Balaam المسمى بلغة العرب لقمان Lucan، لإبنه: «كُنْ حكيما مثل النملة التي تجمع في فصل الصيف ما تعيش به في فصل الشتاء، بُنيّ العزيز لا تكن أقلّ نبلا وشرفا من الكلب الذي لا يُنكر أبدا أولئك الذين أحسنوا معاملته، بُنيّ لا تكن أكثر كسلا من الديك الذي وبّخ وعاقب عشر نساء وأنت لا تستطيع أنْ تُعاقب واحدة، بُنيّ وإن كان لديك ألف صديق فإنّ عدوا واحدا كثير».(78)

(72) ـ تحذف النسختان الفرنسية والإنجليزية قول الكاتب (أنه كتب الكتاب ومن ثم ترجمه إلى اللاتينية)، في حين تثبّت ذلك النسخة اللاتينية، وهو ماينتبه له المحقق الإنجليزي ويذكره. تُنظر: E V), p 12)

(73) ـ تحذف النسختان الإنجليزية والفرنسية فقرة (الأمثال والمواعظ العربية)، في حين تثبته اللاتينية، وينتبه له المحقق الإنجليزي، تنظر:

(E V), p. 13.، وكذلك ما ورد في النسخة الفرنسية في تقديم (لا بودوري)، وما ورد في الخاتمة، ص. 204.

(74) ـ جاء التالي في هدف الكتاب: «for it treats of the trained Prist،.(E V), p. 13»

(75) ـ هكذا ورد إسمه (E V), p. 13. Enoch.

(76) ـ ورد في التوراة: «من خاف الله خافه كلّ شيء، ومن لم يخف الله خاف من كلّ شيء» ينظر: التمثيل والمحاضرة، مرجع سابق، ص. 13.

(77) ـ الشعر لمحمود بن حسن الوراق، التمثيل والمحاضرة، مرجع سابق، ص. 12:

تعصي الإله وأنتً تظهر حبه هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقاً لاطعته إن المحب لمن يًحبُ مطيع

(78) ـ القول: «بُنيّ وإن كان لديك ألف صديق فإنّ عدوا واحدا كثير»، هو لداود موجهاً لسليمان، يُنظر: التمثيل والمحاضرة، مرجع سابق، ص. 15.

الفصل 6

(النصفُ صديق)

Exemplum de dimidio amico

I. The Half Friend

عندما دنا أجلُ العربي، نادى ابنه وقال له: «قبلَ أن أرحل أخبرني كم عدد أصدقائك الّذين حصلت عليهم في حياتك؟».

أجاب الإبن: «ما يقارب المائة صديق».

قال الأب: «هنالك حكيم يقول: «لا تعتبر الصديق صديقا، حتى تُجرّبهُ»؛

أنا أكبر سنا منك ولم أحصل إلا على نصف صديق، فكيف حصلتَ على مائة؟، إذهب وتحقق منهم كلّهم واعرف أيهمُ صديق حق».

قال الإبن: «إنصحني يا أبتي كيف أختبرهم؟».

قال الأب: «تذبح عجلاً وتقطّعه وتضعه في شِوال، لا محال حينها سيتلطخ الشوالُ بالدم، وفي الليل تحمله وتذهب إلى صديقك وتقول: «صديقي هذا رجل قد ذبحته أرجوك أن تدفنه سرّا إذ لا أحد سيشك بك، وستنقذ حياتي وسمعتي».

قام الإبن بما أشار أبوه به عليه؛ فقال له الصديق الأول الذي ذهب عنده: «كما حملتَ هذا الميت على أكتافك عُدْ به، إذا كنتَ قد ارتكبتَ خطيئةً فستُعاقب عليها، ولن تدخل إلى منزلي أبدا».

وهكذا قصد الإبن كلَّ المائة الذين ظنّهم أصدقاءه وكان جواب الجميع ذاته.

وهكذا عاد الإبن إلى أبيه وأخبره بما جرى.

قال له الأب: «حدثَ لك ما ذكره أحد الحكماء لابنه، إذ قال له: «الأصدقاء في الترف كثيرون وعند الشدائد قليلون»، إذهب إلى نصف الصديق الذي أملكُ واعرف ما سيقول بهذا».

ذهب الإبن إليه وقال له مثلما قال للآخرين، أجابه نصف الصديق: «أدخل بسرعة إلى منزلي لأني لا أريد أن يعلم أحد من جيراني بهذا الأمر»، بعد ذلك أرسل نصفُ الصديق زوجتَه وخاصّتَه خارج البيت وحفر حفرةً ليدفن الميت، حينما رأى الإبن ما فعله الأخير بادره قائلا: «أنا جد ممتن لك»، وأخبره بعدها بالقصة كاملة، ثم عاد إلى والده وقصّ عليه كلّ مافعل، فقال له أبوه: «هذا صديق حقيقي، تجده حين يخذلك الآخرون».

سأل الإبن أباه قائلا: «هل رأيت أحداً من الناس حصل على صديق كامل؟».

قال الأب: «لم أرَ أحداً لكني سمعت حديثا عن أحدِهم».

قال الإبن: «أبتي أرجوك حدَثني كيف؟»، أجاب الأب: «سأقول لك بكلّ سرور»:

الفصل 7

(الصديقان الصدوقان)

(Exemplum de integro amico(79

II. The Two Perfect Friends

قيل لي: كان يوجد تاجران في قديم الزمان، كان أحدهما يعيش في مصر والآخر في بغداد، ولم يكن قد التقى أحدهما الآخر أبدا، وكانا يعرفان بعضهما فقط عن طريق الرسائل التي كانا يتبادلانها.

وفي يوم من الأيام ذهب ذلك الذي كان يعيش في بغداد إلى مصر من أجل أحد أعماله، وعندما سمع صديقُهُ الذي يعيش في مصر بقدومه ذهب لملاقاته مستقبلا إياه بحفاوةٍ واصطحبه إلى منزله، وأكرمه مثلما يُكرم الصديقُ صديقَه.

واستضافه عنده سبعة(80) أيام، أطلَعه خلالها على كلّ ما يتعلق به.

في نهاية اليوم الثامن مرض التاجر البغدادي مرضا شديدا مما أقلق صاحب المنزل، فطلب من كلّ أطباء مصر المعروفين بمهارتهم المجيء لمنزله.

فحص الأطباءُ المريضَ ولم يجدوا عنده أي مرض، وخمّنوا بأن يكون سبب علّته هو مرض الحب، عندما علم ربّ المنزل بذلك طلب من صديقه المريض أن يخبره إن كان قد أحب أياً من نساء المنزل، قال المريض: «أرني كلَّ نساء منزلك وإذا رأيت تلك التي أُحب سأخبرك».

عندما سمع السيد ذلك أراه كلّ الجواري من مغنيات وراقصات، نظر إليهن المريض لكنه لم يجد أبدا تلك التي يعشقها.

بعد ذلك أراه بناته لكنُه رفضهن مثل الأخريات.

وكان لسيد المنزل جارية جميلة يحتفظ بها لنفسه ليتزوجها لاحقا، عندما عرضها أمام صديقه المريض قال هذا الأخير عند رؤيتها: «آه يا سيدي بين يدي هذه الفتاة مماتي وحياتي»، عندما سمع السيد هذه الكلمات وهبه الفتاة كزوجة له، ومعها كلّ المال الذي كان قد ادّخره لزواجهما إضافة إلى المهر الذي كان ينوي إعطاءه للفتاة إذا ما تزوجها.

عندما تمت كلّ هذه الأمور وتزوج البغدادي محبوبته وأتمّ عمله الذي أتى إلى مصر من أجله، عاد إلى بلاده.

حدث بعد ذلك بمدة أن فقد التاجرُ المصري كلَّ ثروته، وأصبح فقيرا جدا، ففكر مع نفسه بأن يذهب لرؤية صديقه في بغداد ولينظر إن كان سيشفق عليه.

انطلق في وجهته فقيرا معوزا، يحثُّ الخطى بقدر ما يستطيع، حتى وصل إلى بغداد في وقت متأخر من أحد الأيام، لكنه أحس بالحرجِ من أن يذهب إلى منزل صديقه في هذه الساعة وبهذه الحالة، وأيضا خشي أن لا يتعرف عليه، فدخل إلى أحد المقامات لكي يبيت الليل فيه.

وهكذا وبينما هو حزين ويفكر، اقترب رجلان من المقام بسرعة، فقتل أحدهما الآخر وهرب القاتل، هرع الناس إلى مكان المشاجرة فوجدوا القتيل وبدأوا في البحث عن الفاعل، دخلوا إلى المقام لينظروا إن كان القاتل هناك، فوجدوا المصري هناك، سألوه من يكون القتيلُ، فأجاب: «لقد قتلته»، قال هذا لأنه فضّل الموت على أن يعيش في حالة الفقر هذه.

أخذوه إلى السجن وفي الصباح تم عرضه أمام القاضي وحكم عليه بالإعدام، وهكذا أُخذ إلى منصة الإعدام ليتم شنقه.

وكما جرت العادة هرع إلى عين المكان حشدٌ كبير من الناس، وبينهم كان يوجد صديق الرجل المصري، تأمّله جيدا وعرف بأنه صديقه الذي تركه في مصر، وفكّر في قرارة نفسه: بعد إعدامه لن يستطيع أن يردّ له الجميل، فأراد أن يضحّي بنفسه وأن يموت من أجل صديقه،

فصرخ في القضاة بأعلى صوته: «لماذا تحاكمون هذا الرجل؟، لا دخل له بهذه الجريمة إلى أين تأخذونه؟، أنا من قتل الرجل هذا، ولا مصلحة له في قتله».

أشار إليه القضاةُ فقُبض عليه وأُخِذ الى منصة الإعدام، في حين تم إطلاق سبيل المتهم الأول.

كان القاتلُ الحقيقي موجودا بين الجموع وشاهد ما حدث، فخاطب نفسه قائلا: «قتلتُ الرجل، لماذا تتم إدانة هؤلاء ويُحكم عليهم بالإعدام وأنا المسؤول عن هذا الجرم؟، سأعترف بمسؤوليتي وأُحرر هذين الإثنين، لكي لا يعاقبني الله بشدة عن هذه الفعلة، وسأتحمل عقوبة جنايتي».

وهكذا خاطر الرجل بنفسه قائلا: «أنا الذي قتل الرجل، اتركوهما، لم يفعلا شيئا».

تعجّب القضاة كثيرا، وحرروا ذاك الذي كانوا قد حكموا عليه، وعرضوا المتهم الحقيقي ومعه الإثنين الآخرينِ أمام الملك وسردوا على هذا الأخير تفاصيل ما حدث، إنبهر الملك أيضا بالموقف، وعجز عن أن يجد حكما مناسبا للقضية.

في النهاية اشترط الملك لكي يغفر لهم جميعا، أن يحكوا له الأسباب التي أدتْ الى هذه الجريمة، فاعترفوا له جميعا بما حدث.

فتم تحريرهم ثلاثتهم بإجماع الحضور.

أما ذلك البغدادي الذي أراد الموت من أجل صديقه، فقد اصطحب صديقه المصري إلى بيته وأكرمه كثيرا وقال له: «إن أردتَ العودة إلى بلدك، فالنتقاسم كلّ أملاكي بالنصف».

فضّل المصري العودة إلى بلاده آخذا نصف الثروة التي أهداه إياها صديقه البغدادي، وهكذا عاد إلى بلده(81).

عندما أنهى الأب سرد القصة، بادره الإبن قائلا: «بالكاد يستطيع أحدنا إيجاد صديق صدوقٍ واحدٍ في حياته كلّها، ومن حصل على ذلك فليحرص عليه جيدا وسيكون بذلك حكيما».

يقول حكيم آخر، بخصوص أولائك الأصدقاء الذين لم يُختبروا أبدا: «نحن نجرّب أعداءنا عدة مرات متناسين أصدقائنا، لأن الأصدقاء يتحولون في بعض الأحيان إلى أعداء وعندما نجرّبهم يكون فقدانهم أقل وطأةً».

أحد الحكماء يقول: «إحترس من نصيحة شخص لم تطلبها منه، إن لم يكن صديقك الذي سبق وأن جرّبته».

ويقول آخر: «إنصح صديقك بالخير قدرما استطعت، حتى وإن كان لا يريد تصديقك».

لأن من حق الصديق عليك أن تنصحه وإن لم يتبع ما قلته له.

ويقول آخر: «لا تبُح بأسرارك لكلّ الناس، الرابح هو من يحتفظ بأسراره بينه وبين نفسه»(82).

آخر يقول: «السرَّ المكتوم داخل نفسنا، كما لو أنه محبوس في سجن، لكنّ السرّ الدي بُحتَ به فكأنك محبوس داخله».

قال آخر: «لا تترافق أبدا مع أعدائك إن كنت تستطيع أن تجد رفقة أخرى لأنهم سيذيعوا عيوبك ويسكتوا عن محاسنك».

قال أحد الشعراء: «الحاجة هي ألدّ خصوم الإنسان الصادق في هذا الزمان، لأنها قد تُجبره على قبول العون من عدوّه».

شخص ما سأل عربي: «ماهو أسوأ ما يمكن أن يُصيبنا في هذه الدنيا؟».

أجاب العربي: «عندما تدفعني الفاقة إلى طلب ما أرغبه من عدوي».

ويقول آخر: «لا تُصاحب فاسقاً يُلحق العار بك».

ويقول آخر: «لا تفرح أبدا إذا ما مدحك فاسق، فمدحه ذم وذمه مدح».

مرّ حكيمٌ بطريقٍ، فوجد حكيما آخر يُثرثر مع أحد الفاسقين، فقال له: «الطيور على أشكالها تقع». فأجاب الآخر: «لا رفقة لي معه، ولكنها ضرورة السفر».

قال حكيمٌ آخر: «بُنيّ.. من الصعب أن تتسلق البناء العالي، ولكن من السهل النزول منه».

وقال آخر: «مصاحبة حكيم أحسن من صداقة أخرق».

وقال حكيمٌ آخر: «لا تُكثر من مصادقة الحمقى أو الأغبياء لأنها لا تدوم طويلا».

يقول حكيمٌ آخر: «يُفضّل الحكماءُ العيشَ في تقشفٍ على العيش بسعةٍ بين الحمقى».

ويقول آخر: «الحكمة نوعان، واحدة فطرية والأخرى مكتسبة بفن، ولا توجد إحداهما بمعزل عن الأخرى».

يقول آخر: «لا تُكثر على الحمقى بالحكم والمواعظ لأنك بذلك ستظلمهم، ولا تمنعها أبدا عن العاقلين فذلك حقهم عليك»(83).

ويقول حكيمٌ آخر: «هبات هذا العالم كثيرة، البعض أُعطيّ المال، والآخر الحكمة».

يقول حكيمٌ آخر لإبنه: «ماالذي ستحب أكثر، المال أم الحكمة؟(84)». أجاب الإبن: «كل واحدة منهما تخدم الأخرى».

قديما كان يوجد شاعر حكيم، لكنه فقير ومعوز وكان لا يكلّ من الشكوى لأصدقائه الفقراء، فتوجه نحو من إليه الحُكم قائلا: «أنت يا من تقسّم الأرزاق، قل لي.. لِمَ قسمتي غير عادلة، لا أريد أن أعترض على مشيئتك، لكن قل لي مَنْ ألوم؟، قدري قاسٍ جدا، لمَ تقسو عليّ؟، لكنك.. الشفيع والحَكَم بيني وبين قدري، أعطيتني الحكمة وحرمتني المال، قل ماذا يفعل العقلُ بدون مال؟، خذ جزءاً من الحكمة، وأعطني جزءاً من الغنى، لا تجعلني معوزا حتى لا أحس بالخزي».

ويقول حكيمٌ آخر: «هناك ثلاث طرق يتعامل بها أحدنا مع الآخر: مَنْ أسديتَ له خدمة، أنت أعلى شأنا منه بسبب الخدمة التي قدمتها له، ومَنْ لم تتعامل معه فأنت مساوٍ له، أما من تعاملتَ واحتجت له فإنك أقل شأنا منه»(85).

يقول حكيمٌ آخر: «الحكمة هي نور الروح، ولكن الإحساس بها كنورٍ للجسد»(86).

ويقول آخر: «تُحيي الحكمةُ بنورِها الأجسادَ الميتة، كما يُحيي بَلَلُ المطر الأرضَ المجدبة».

ويقول آخر: «الحكمة هي صفاء الروح، والعقل صفاء الجسد»(87).

قال المُريد لشيخه: «كيف أتصرف لأكون مُريدا فاهما؟»

أجابه الشيخ: «إلزم الصمت حتى يستدعي الأمر أن تتكلم، الصمت يُغنيك عن قول الحماقة».

حكيمٌ آخر قال: «وحده الصمت يدلّ على الحكمة، والكلام دلالة على الحمق».

لا تتسرع في الإجابة على سؤال طُرح على شخص آخر، ولا تبحث عن إطراء لأشياء تجهلها، لأن الحكيمَ يقول: «من يبحثُ عن إطراء على أشياء لا يعرفها فهو كاذب بالدليل والبرهان».

ويقول آخر: «إدعاء المعرفة أمر قد يكون لك أو عليك، لا تفرح كثيرا بحكمة كلامك»؛ لأن الحكيمَ يشهد بأن ذلك الذي يتباهى بحكمته هو أخرق.

ويقول حكيم آخر: «من يريد الإجابة بحكمة عما سُئل عنه يجب أن يستمع».

من لا يستطيع أن يصبر كي يتعلم، فسيكون أبدا في عار الجهل.

يقول آخر: «ليس بحكيم ذلك الذي يُسمى حكيما، حتى يتعلم ويأخد الحكمة».

ويقول آخر: «لن يستغل صفاتَ النبل جيدا من لا يريد التعلم، النبل يحتاج إلى التعلم، والحكمة تحتاج إلى المراس».

ويقول آخر: «النبل هو ما يُكتسب بجهدي، لا بما يأتي عن طريق أبي»(88).

(79) ـ يقسّم بطرس ألفُنس هذه المثال إلى مثال أساسي وأربع مضافة:

De consilo, De Leccatore, De sapientia, De silentio, (L V), pp. 11 - .14

(80) ـ في (L V) ثمانية أيام.

(81) ـ ترد في (E V) محاورات مُلحقة بحكاية (الصديقان الصدوقان) بدون عنونة، لكن النص اللاتيني يعنونها إلى أربع كما ذكرنا في هامش سابق.

(82) ـ يقول عمر بن الخطاب: «من كتم سرّه كان الخيار في يده»، التمثيل والمحاضرة، مرجع سابق، ص. 29.

(83) ـ يقول عيسى بن مريم: «لا تنطقوا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم»، التمثيل والمحاضرة، ص. 15.

(84) ـ القول في التمثيل والمحاضرة، منسوباً لإفلاطون، إذ «قيل له: لمَ لا تجتمع الحكمة والمال؟ فقال: لعزّةِ الكمال»، مرجع سابق، ص. 174.

(85) ـ القول في التمثيل والمحاضرة منسوباً لعلي بن أبي طالب: «استغن عمن شئتَ فأنتَ نظيرُه، واحتج إلى من شئتَ فأنتَ أسيرُه، وتفضّل على من شئتَ فأنتَ أميرُه»، مرجع سابق، ص. 30.

(86) ـ في (L V): «نقاء الروح حكمة، ونقاء الجسد ضريبة».

(87) ـ لا وجود لهذه الحكمة في (L V).

(88) ـ ورد في (L V): «نبل قلبي ما يُكتسب بجهدي، لا بما يأتي عن طريق أبي»، وفي كلتا الصيغتين ربما هو إشارة إلى بيت الشعر المعروف «إنّ الفتى مَنْ يقولُ ها أنا ذا ليسَ الفَتى مَنْ

يقولُ كانَ أبي».

الفصل 8

(الملك والشعراء)(89)

Exemplum De Tribus Versificatoribus

III. The King and the Poets

يروي العربي: «أن أحد ناظمي الشعر والذي لم يكن ذي حسب ونسب مدح الملك بقصيدة، وعندما تعرف الملك على حكمة الناظم وأعجب بها قرّبه منه وأكرمه، فاعتمل الحسدُ صدورَ الشعراء الآخرين المتحدرين من حسب ونسب، فأتوا عند الملك وقالوا له: «لماذا تقرّبُ منك وتُكرِم هذا الذي ينتمي إلى أصول دنيئة؟»، فأجاب الملك: «أنتم تعيبونه أكثر مما تشيدون به».

فاستدرك الشاعر الذي تمت إهانته: «لا يمكن ذمّ الوردة التي تنبت وسط الأشواك»؟.

إزداد إعجاب الملك به وأغدق عليه العطايا.

حدث أن ناظما للشعر ذو نسب ولا يتقن الشعر كثيرا، مدح الملك بقصيدة، سمعها الملكُ ولم يعطه شيئا.

فقال الشاعر للملك: «إن كنت لا تريد أن تجازيني شيئا من أجل شعري، فليكن من أجل نسبي».

سأله الملك: «من يكون أبوك؟»، فأخبره الشاعر إبن من يكون، فقال الملك: «بذرة والدك لم تنبتْ فيك»؛ فقال الناظم: «كلّ بذرة تنبتُ، تعتقدُ أنها الأحسن».

فقال الملك: «ها.. الآن ثَبُتَ أنك أقلُ شأنا وشرفا من والدك»؛ وهكذا تركه الملك دون أن يعطيه شيئا.

أتى ناظم شعر آخر عند الملك، والذي كان كريم النسب من جهة الأم فقط، وكان له خال كثير الحكمة، وعُرف عن هذا الناظم خشونة طباعه، فمدح الملك بقصيدة جافة.

فلم يستحسنها الملك ولم يُحسن ضيافته، لكنه سأله إبن من يكون، فأخبره الشاعر عن خاله، فانفجر الملك ضاحكا، سأله الحضور عن سبب ضحكه فقال الملك: «لقد قرأت حكايةَ في أحد الكتب وإنني لأراها الآن تحدث أمام عينيّ»، فسألوه من جديد، أية حكاية؟، فقال الملك:

(89) ـ العنوان في (L V) (الشعراء الثلاثة).

الفصل 9

(البغل والثعلب(90))

(Exemplum De Mulo et vulpe(91

IV. The Mule and the Fox

وجدَ ثعلب في المرعى بغلا حديث الولادة فأعجب به كثيرا وسأله من يكون، فأخبره البغل بأنه هجين(92)،

فقال الثعلب: «أليس لك أب أو أم؟».

قال البغل الصغير: «خالي حصان كريم النسب»، ذلك لأن البغل الصغير لم يكن يريد أن يخبر الثعلب بأن الحمار هو أبوه لأنه حيوان قبيح وكسول، هكذا أحس بالحرج من تسمية والده».

عاد الملك إلى ناظم الشعر ليقول له: «أريد أن أعرف من هو والدك»، فقال له الشاعر الحقيقة، فعلم الملك بأنه رجل جحود لا قيمة له.

فقال الملك لحرسه: «لا تعطوه شيئا إذ لا تُرجى فائدة منه أبدا».

قال العربي لأبيه: «عجبا.. في الماضي كان يتمّ تكريم الشرفاء والحكماء والإنسان الحصيف، لكن الآن يُكرَمُ الكذّابُ والمنافق».

فاستدرك الأب: «بُنيّ.. لا تندهش فالقس يُجل القس، والشريفُ الشريفَ، والحصيفُ الحصيفَ، والفاسقُ يجلُّ الفاسقَ».

قال الإبن: «قرأت شيئا آخر: القساوسة ما عادوا يُجلون لحكمتهم في حين أن الفاسقين يزدادون، ويُجلَوَن بشكل كبير».

بعدها قال الأب له: «بمرور الزمن تزداد الأمورسُوءاً».

قال الإبن: «أبتي العزيز.. إشرح لي المعنى الحقيقي للنُبل».

علّق الأب: «كما قال أرسطو في رسالة بعثها إلى الملك ألكسندر، عندما سأله هذا الأخير أي رجل يجب أن يكون مستشاره، فكتب له بهذه الطريقة: «إتخذ رجلا تعلم جيدا الفنون السامية (المتسامحة)، إتَّبعَ الفضائلَ السبع، ومن صقلته معاني الإنجازات السبعة، حينها أعتقد أنه سيكون شريفا مرموقا».

قال الإبن: «هذا الشرف والنبل لا يوجد في زماني هذا، بل نُبل هذا الزمان هو الذهب والفضة».

كما قال أحد الشعراء: «الغنى يجعل من لا نبلَ له نبيلا، يُبخس زمانُنا الحالي النبيلَ مكانته».

وقال شاعر آخر نظم هذا الشعر حول شرور العالم التي حطمتْ نُبله: «قل لمن يستصغرنا بسبب المصائب التي أُبتُلينا بها، إنه سوء الأقدار، الزمن لا يحجب النبل، ألا ترى أن الروث والقشور تطفو على سطح المحيط بينما اللؤلؤ يستقر في أعماقه(93)؟ ألا ترى بأن للبخيل جواهرا وأحجارا كريمة، ألا ترى في السماء نجوما لا تعد ولا تحصى، ولكن الشمس والقمر وحدهما من لا يفنيان».

قال الأب: «يتغير الزمن للأسوء حيث يتم تكريم ذي الجاه فقط».

سأل المُريدُ شيخَه: «إنها سبعة فنون وسبع فضائل، وسبع خصال، أريدك أن تحدّثني عنها».

أجاب الشيخ: «سأسميهم لك بكلّ سرور، الفنون السبعة هي: المنطق، الحساب، الهندسة، الطبيعيات، الموسيقى، والفلك».

وبالنسبة للفن السابع، الآراء تتباين: فعند الفلاسفة الذين يؤمنون بالدلالات المُنذرة: (النبوؤات) فإن السابع هو السحر، غيرهم ممن لا يؤمنون بالنبوؤات، يعتقدون أن الفلسفة هي السابع، لأن لها امتياز دراسة الطبيعة وعناصر الأرض، البعض الآخر والذي لايعرف الفلسفة يقول أنه النحو.

ثم الفضائل السبع هي: الفروسية، السباحة، الرماية، الملاكمة، الصيد، الشطرنج، ونظم الشعر.

الخصال هي: لا تكن شرِها، سكّيرا، سبرطيا(94)، عنيفا، كذّابا، طمّاعا، وشريرا».

قال المُريد: «لا أعتقد أنه يوجد إنسان يمتلك هذه الصفات في وقتنا الحاضر».

«بعد فقرات طويلة محذوفة يُستأنف السرد»(95).

أنَّبَ أحد الحكماء إبنه قائلا: «إحترس من الكذب، إنه شيء نشقى به أكثر من قول الحقيقة»، وقال آخر «حِملُ الكذب خفيف، لكنّ حِمل الحقيقة صعب وثقيل».

إحترس من أن يجعلك الحرجُ في تبرير فعلك تكذب، لأنه من الأمانة أن تبرّر الفعل على أن تتركه هكذا، وإن كان الكذب يفيد أحيانا، فما بالك بالحقيقة.

قديما أُتِهم رجلٌ بارتكاب جريمة فمثل أمام الملك، وقُدِّم للمحاكمة فأنكر التهمة الموجهة إليه، وتبين أنه الفاعل، قال له الملك: «سيكون عقابك مضاعفا، أولا: لارتكابك الجريمة، وثانيا: لأنك كذبتَ».

شخص آخر أَجرمَ بنفس الطريقة الأولى لكنه اعترف بذلك، فقال كلُّ حضور الملك: «سيُعاقب على جريمته»، فقال الملك: «لا.. اتركوه، لأن الحكيمَ يقول: لا يجب أن نحاسب من اعترف بخطيئته»، فأُخلي سبيل المتهم.

يقول سقراط أيضا: «إذا كان الكاذب غير جدير بالمصاحبة فهو أيضا مذموم في مملكة السماء».

وقال حكيم لإبنه(96): «كما يُطفئ الماءُ النارَ، كذلك يدمّرُ الشرُ الخيرَ.

لا تقابل السيئة بأخرى حتى لا تشابه السيئين».

وقال آخر: «إذا ما نجوتَ من خطر ما، فلا تغتر، حتى لا تواجه مخاطر أخرى، لأنك لن تنجو ثانية كما أول مرة».

قال العربي لإبنه(97): «لا تهزأ من أحد رأيته يعاني بسبب سوء أفعاله، لأن من يهزأ من الآخر، قد يصبح يوما ما في نفس موضعه».

(90) ـ في (L V) أنثى ثعلب (ثُعالة).

(91) ـ يُقسّم ألفُنس هذه الحكاية إلى مثال رئيس وثلاثة فرعية:

De vera nobilitate, (De septum artibus, probitatibus, industriis), De mendacio, (L V), p. 16.

(92) ـ يرد في (L V) بأنّه (من مخلوقات الله)، (L V), p.16.

(93) ـ «خذوا اللؤلوء من البحر والذهب من الحجر، والحكمة ممن قالها»، التمثيل والمحاضرة، مرجع سابق، ص. 174.

(94) ـ يشاع عن الإسبرطيين، كونهم قُساة جدا. يُنظر: إمام عبد الفتاح إمام، إفلاطون والمرأة، ص. 44، وتضيف النسخة اللاتينية صفة (بذيئاً).

(95) ـ جملة اعتراضية من Hulme، لأن الكلام بعد ذلك مرتبط بنهاية حكاية (الصديقان الصدوقان)، فيما تخلو النسختان اللاتينية والفرنسية من هذا الحذف.

(96) ـ يُنظر المدخل من هذا الكتاب في أقوال لقمان لابنه.

(97) ـ من الزبور: «لا تُظهر الشماتة بأخيك فيُعاقبه الله ويبتليك»، التمثيل والمحاضرة، مرجع سابق، ص. 14.

الفصل 10

(الثعبان الجحود)(98)

Exemplum De homine et serpente

V. The Ungrateful Serpent

مرّ رجل في غابة(99)، فوجد ثعبانا وقد قام الرعاة بتمديده وربطه بعصيٍ صغيرة، أحس الرجل بالشفقة عليه ففك قيده ووضعه في حضنه قصد تدفئته، عندما أحس الثعبان بدفءِ وحرارة الرجل، التف حوله وبدأ بعصره بقوة، صاح الرجل: «آآآآه.. ماذا تفعل؟، لماذا تقابل الإحسان بالسوء؟»، قال الثعبان: «هذه فطرتي»، قال الرجل: «لقد فعلتُ خيرا، وأنت تجازيني بالسوء».

ظلا على هذا النحو يتجادلان، فنادى الإثنان على الثعلب كي يحكم بينهما، وقصّا عليه كلّ ما حدث بينهما، قال الثعلب: «لن أستطيع الحكم بينكما اعتمادا على السمع، إلا إذا رأيت ما حدث بأُم عيني». وهكذا ربطا الثعبان كما كان في السابق، فبادر الثعلبُ مخاطبا الثعبانَ قائلا: «إذهب، إنِ استطعت إلى ذلك سبيلا».

بعدها قال للرجل: «لا تتعب نفسك أبدا في فك قيود ثعبان، ألم تسمع بأن من يطلق سراح ذاك الذي يستحق الموت صار هدفا لشرّه».

قال العربي لإبنه: «إذا حدث وتورطتَ وكنتَ تستطيع النفاذ من الموقف بسرعة، فلا تنتظر كثيرا، لأنك كلما تأخرت في اتخاذ القرار ساء وضعك أكثر، وسيحدث لك مثلما حدث للأحدب مع ناظم الشعر».

تسائل الإبن: «وماذا حدث له؟».

(98) – في (L V) (الرجل والثعبان).

(99) – في (L V) (مرّ رجلٌ بتل).

الفصل 11

(الشاعر الذي تحوّل إلى بَوّاب)(100)

Exemplum De Versificatore et Gibboso

VI. The Poet Turned Porter

قال الأب: «حدث أن شاعرا، يمدح الملكَ بشعرٍ جميل، وأُعجب الملك بالشاعر وبقصائده كثيرا، فطلب الشاعرُ من الملك أن يقدّم هديةً له، وافق الملك على طلبه، فطلب الشاعرُ من الملك أن يجعله بوّابا على مدينته لمدة شهر، وأن يأخذ من كلّ أحدب قرشا(101)، ومن كلّ مبتوك(102) قرشا، ومن كلّ مصاب بداء الثعلبة قرشا، ومن كلّ مصاب بالبُهاق قرشا، ومن المجذوم قرشا، ومن الأعور قرشا.

وافق الملك على طلبه وأرفق موافقته برسائل مختومة بختمه.

عندما تسلّم الشاعر الرسائل والمنصب ذهب ليجلس أمام البوّابة، فدخل إلى المدينة في أثنائها أحدبٌ أنيق الملبس يلبس عباءةً ويتكئ على عصى، فطلب الشاعرُ منه قرشا، فرفض الأحدب، أمسكه الشاعر من رأسه فلاحظ بأنه أعور فطلب منه أجرةَ قرشين كي يدخل المدينة، وكان قد طلب منه في البداية قرشا فقط، رفض الأحدب ثانية وأراد الهرب، ولأنه لم يجد من يساعده، أخذه الشاعر بقوة من الطربوش فكشف عن رأسه ليجده مصابا بداء الثعلبة فطالبه بثلاثة قروش، عندما رأى الأحدبُ بأنه لا يستطيع الهرب لم يجد بدًّا من الدفاع عن نفسه، فتعارك مع الشاعرِ بكلتا يديه فبان بذراعيه البُهاق، نزع عنه سلهامه وأخذه مقابل أربعة قروش، سقط الأحدب أرضا فاكتشف البوابُ بأنه مجذوم، فأخذ منه البوّاب وبالقوة خمسة قروش، وهكذا يتبين، بأن من لا يريد إعطاء قرش سيعطي ورغم أنفه خمسة قروش.

قال أحد الحكماء(103): «إحترس من المرور بأماكن الأشخاص السيئين حتى لا يكون مرورك سبباً في توقفك، ويكون توقفك فرصة للجلوس، ومن ثم يصيرجلوسك عملك».

«بذات السياق لتوضيح ذلك، حدث إن قسّينِ خرجا من المدينة في ليلة ما ليتمشيا، ووصلا لبيت هو ملتقى للسكارى...»(104)

(100) ـ في (L V) (الشاعر والأحدب).

(101) ـ العملة هي قرش Peny، وفي الهامش يذكر Hulme أن المقصود هو الدينار،(E .V), p. 24

(102) ـ صاحب الأذن الواحدة.

(103) ـ في (L V): «قال أحد الحكماء لإبنه».

(104) ـ خلت النسخة اللاتينية من هذا السرد الإستدراكي، خلاف النصين الإنجليزي والفرنسي.

الفصل 12

(قِسٌّ في خَمّارَة)(105)

Exemplum De Clerico Domum Potatorum intrante

A Priest in the House of Drinkers

لأني سمعتُ عن رجلي دين(106) خرجا من المدينة مساءً قصد الراحة والاستجمام، فوصلا إلى مكان حيث يجتمع العابرون، فقال أحدهما للآخر: «لنذهب من غير هذا الطريق، لأن أحد الحكماء يقول: «لا تمر من طريق الناس السيئين، فعدم المرور من هناك لن يضرّك»، وأثناء مرورهم سمعوا صوتا يشدو بأغنية، توقف أحدهما لعذوبة الصوت ورقته، أراد صديقه أن يمضيا لحال سبيلهما لكن الأول رفض ذلك، تابع الصديق الثاني سيره، في حين بقي الأول ودخل المنزل الذي كان يصدح منه الغناء، وعند دخوله إلى هناك ناداه الجميع فجلس وشرب معهم، بعد ذلك دخل شرطي كان يقتفي أثر جاسوس يتجسس على المدينة، وتبعه إلى هذا المنزل الذي يقصده العابرون، فقبض على الجاسوس وكذلك على كلّ من كان بالمنزل، ثم قال: «هذا وكر الجاسوس وأنتم جميعا رفاقه، ستُؤخذون جميعا إلى منصة الإعدام»، عندها صاح القس بأعلى صوته بأنه لم يصاحب أبدا رفاق السوء وعندما فعل حصل على حكم بالأعدام دون وجه حق».

(105) ـ تتحدث النسختان الإنجليزية والفرنسية عن شابين لا قسّين متناسية مايربطها في نهاية الحكاية السابقة والتالية لها، فيما تسميهما النسخة اللاتينية (رجلي دين)، وينتبه Hulme لذلك ويعلق قبل بدء الحكاية قائلا: «يتحدث بطرس ألفُنس عن رجلي دين يخرجان ويمران ببيت يرتاده السُكارى فينادیانهما ليدخلا [....]، أنظر: (E V), pp. 25, 26)، كما تبتدأ النسخة اللاتينية الحكاية بـ «يقال إن رجلي دين».

(106) ـ كان تعبير (رجل دين) يعني المثقف، وليس بالضرورة منزلة دينية، أنظر الهامش الذي يذكر كتاب تاريخ الأدب الإسباني.

الفصل 13

(نعيبُ البوم)

Exemplum De Voce Bubonis

The Voice of the Owl

يتحدث حكيمٌ آخر عن رجلي دين(107)خرجا من مدينتهما ووصلا إلى مكان حيث سمعا صوت امرأة تغني، كانت الأغنية جميلة وصوتها عذبٌ فتوقف أحدهما لعذوبة الغناء وقال لصاحبه: «لنغادر هذا المكان»، فذهبا لأنهما يعلمان جيدا بأن العصفور دائما يخيبُ أملُه في غناءٍ يعرفه الصياد، فيكون سببا في موته، ثم قال أحدهما للآخر: «هذا الصوت أرقّ من الصوت الذي سمعناه أنا ومعلّمي في المرة السابقة»، قال رجل الدّين الآخر: «أي نوع من الأصوات كان، وكيف سمعتماه؟».

أجاب الأول: «حدث أننا كنا خارجَين من المدينة فسمعنا صوتا نشازا، غناءه بشع وكلمات الأغنية غير منظمة، ويكرر المغني أغنيته مرارا معجبا بغنائه كما لو أنه عذب».

فقال المُريد: «مُعلّمي.. عندما يقول الناس بأن صوت البوم يدل على موت شخص فهم محقون، أقول هذا لأني أتعجب لِمَ يعجب هذا بصوته الذي أجده مرعبا»، قال الشيخ: «ألا تتذكر الثعلب الذي قال: ثلاثة أشياء يجد الإنسان فيها متعته وإن لم تكن كلها أمور جيدة: بصوته وبأغانيه وبذريته».

وعندما أنهى المُريد كلامه ابتعد هو وشيخه بعيدا.

قال أحد الحكماء لابنه: «أولى أن تتبع العقرب والأسد والتنين على أن تتبع المرأة الخبيثة»(108).

وقال آخر: «صلِّ لله وتوسله أن يحفظك من دهاء المرأة الخبيثة فإن حفظك فلا تخيب أمله فيك».

رأى حكيمٌ صيادَ طيورٍ ينصبُ شبكا للعصافير ويلهو مع امرأة، فقال الحكيم له: «أنت يا من تنصب الشِراك للعصافير إحذر من أن تسقط في شباك هذه المرأة مثل تلك العصافير»(109).

قال المُريد لشيخه: «قرأتُ كتب الحكمة القديمة والتي تطلب من المرء الحذر من حِيَل ومكر النساء، وسليمان الحكيم ذكّر بهذا في حِكَمه، لكن إن كنتَ تعلم شيئا عن حيلهنّ ومكرهنّ سواء على شكل حكايات أو أمثَال، أرجوك أن تقصّه عليّ».

قال الشيخ: «من أجلك أنت سأحدثك بكلّ فرح، لكني أخشى من أن يطّلع أحد من الناس البسطاء على ما نكتب من حيل النساء فيشهَّر بهنّ، أما بالنسبة لك وللآخرين، فتعرفون كيف ينادينَ عشاقهنّ فيتبادلنَ الحب والقبلات بكامل إرادتهنّ دون أن يعلم أزواجهنّ بذلك، ويجهلنَ بأننا نعرف».

قال المُريد لشيخه: «لا شك في ذلك، فسليمان الحكيم في كتابه عن الأمثال وكذا حكماء آخرين عديدين كتبوا عنهنّ ليُخبروا عن عاداتهنّ السيئة، ورغم ذلك نجدهنّ لا يُلمنَ على ذلك بل يُمتدحنَ، قال الشيخ: «أو ستقول لي عن عاداتهن!»(110).

(107) ـ في (L V) تتحدث الحوارية عن رفيقي درب من المُريدين ـ مُريدان لا رجلي دين ـ.

(108) ـ القول في التمثيل والمحاضرة، على لسان داود موجها لسليمان: «يا بُنيّ: امش خلف الأسدِ والأسودِ، ولا تمشِ خلفَ امرأةٍ»، مرجع سابق، ص. 15.

(109) ـ في التمثيل والمحاضرة: «ونظر بعضهم إلى صيّادٍ يُكلّم امرإةً، فقال له: يا صياد احذر أن تُصاد»، مرجع سابق، ص. 176.

(110) ـ تخلو النسختان الإنجليزية والفرنسية من نصٍّ طويل مُمهد للحكاية التالية، فيما تثبّته النسخة اللاتينية.

الفصل 14

(خداعُ زوجة النبّاذ(111))

Exemplum De vindemistore

VII. The Vine - Dresser Deceived by His Wife

كان يا ماكان في قديم الزمان، كان هنالك فلاحُ يقطف محصوله من العنب، سمعت زوجته بأنه سيظل مدة طويلة في تسويق تجارته، فأعدت الطعام ونادت عشيقها، أثناء ذلك جرحَ الزوجُ عينه بغصن كَرمَة فعاد قبل الوقت المحدد إلى منزله لأنه لا يستطيع الرؤية بعينه المصابة.

طرقَ الباب بقوة لمّا وصل، وارتعدتْ زوجته خوفا عندما سمعته، فخبأت عشيقها وهرعت لتفتح الباب له، كان الزوج يحس بألم شديد فطلب أن يُعدّ له فراشه كي يرتاح، خشيت الزوجة أن يدخل زوجها إلى غرفة النوم فيكتشف عشيقها مختبئًا هناك، فبادرته قائلة: «لماذا تتعجل الذهاب لفراشك، إحكي لي أولا كيف كان سفرك؟»، استجاب لها الزوج الطيب وحدّثها عن كلّ ما حصل له، فقالت له: «هل تقبل بأن أقرأ لك تعويذةً على العين الطيبة حتى لا تصل إليها عدوى وألم العين المجروحة، فما يُصيبك يُصيبني».

ثم وضعت فمها قُبالةَ العين السليمة لزوجها بحيث استطاع عشيقها المختبئ بغرفة النوم الخروج في الحال دون أن ينتبه إليه الزوج المسكين، بعد ذلك نهضت وقالت: «كن أكيدا بأن ما حدث للعين الأولى لن يحدث للأخرى، يمكنك الذهاب لفراشك إن تفضلتَ».

قال المُريد لشيخه: «حسنا تعلمتُ جيدا وحفظتُ في ذاكرتي كلّ ما حدّثتني عنه من حيلهنّ، لا أريد أن أملك ثروات العرب لقاء ذلك، من فضلك أخبرني قصصاً أخرى، قال الشيخ: «على الرحب والسعة».

(111) ـ Vine ـ Dresser (نبّاذ، صانع النبيذ، عاصر العنب).

الفصل 15

(الزوجُ المخدوع بالملاءَة)

Exemplum De Lintheo

VIII. The Husband Deceived by Means of a Sheet

ذهب رجل(112)إلى الحج تاركا زوجته تحت رعاية والدتها، وكانت الزوجة مغرمة بشاب وأسرّت بذلك لأمها، وهذه الأخيرة أخفت خبر هذا الحب وظلت مع ابنتها، وفي أحد الأيام، أتى الشاب لتناول الأكل عندهما داخل منزلهما، وأثناء ذلك طرق الزوج الباب، نهضت الزوجة وخبّأت عشيقها بسرعة ثم ذهبت لتفتح الباب، دخل الزوج فطلب أن يُحضّر له الفراش كي يرتاح لأنه جِد متعب، سقط بين يدي الزوجة ولم تعرف ماذا تفعل، انتبهت الأم لذلك، فقالت لها: «لا تسرعي في إعداد الفراش حتى نُري سيدك الملاءات التي صنعنا»، أخذت العجوز ملاءةً من إحدى زواياها وأفردتها أمام عيني الزوج أَعلى ما تستطيع، فيما رفعت الإبنة الزاوية الأُخرى، عندما أصبحت الملاءةُ حاجبةً لعيني الزوج، ذهب ذاك الذي كان مختبئا إلى سبيل حاله، وعندما ذهب قالت الأم لإبنتها: «أذهبي وضعي هذه الملاءة الجميلة فوق فراش زوجك»، قال الزوج: «يا إلهي، هل تعرفون من صنع الملاءة بهذه الطريقة الجميلة؟». أجابت الأم: «بُنيَّ، لقد صنعتُ العديد منها»، بهذه الطريقة خُدع الزوج من قبل زوجته.

قال المُريد: «سمعت غرائب، أريدك أن تريني أكثر من حيلهنّ لأنه كلما عرفتُ خُدعهنّ كلما تعلمتُ كيف أحترس من مكائدهنّ»، قال الشيخ: «سأخبرك أكثر إن كنت تريد التعلُّم».

قال المُريد: «أودُّ ذلك كثيرا»، فقال الشيخ:

(112) ـ في (L V): «يُقال أن رجلاً قد رحل إلى الحج».

الفصل 16

(الحماة والسيف المسلول)(113)

Exemplum De Gladio

IX. The Mother - in - Law with the Drawn Sword

حدث أنّ رجلا سافر خارج البلاد وترك زوجته في رعاية أمها، وكانت الزوجة تعشق شابا في السرّ وأمها على علم بذلك، وأحضرتْ الزوجةُ عشيقَها إلى مسكنها.

وفي أثناء تناولهم الأكل عاد الزوج وطرق الباب، ذهبت الزوجة لتفتح الباب لزوجها، وظلت الأم مع العشيق مربَكة لا تعرف ماهي فاعلة، إذ لا يوجد مكان تخفيه فيه، فتحت الإبنةُ الباب لزوجها في ذلك الوقت، فقامت العجوز وأخذت سيفا ناولته للشاب قائلة له بأن يُشهر السيف عند دخول الزوج وأن يَلزم الصمت ولا يُجيب إن وُجّه الحديثُ له، التزم الشابُّ بأوامر العجوز، وهكذا فتحت الزوجة الباب ودخل الزوج، وعندما رآه هناك بادره: «من أنت؟»، لم ينبس الشاب ببنت شفةٍ وظل شاهرا السيف في يده، فوجئ الزوج كثيرا وبدأ الشك يراوده، فقالت العجوز آنذاك: «صهري العزيز، أسكتْ وإلا سمعوا صوتك».

تعجب الزوج أكثر وقال: «حماتي، من يكون هذا؟»، أجابته العجوز: «هنالك ثلاثة شبان يتبعون هذا الشاب ويريدون قتله، فتحنا له الباب وتركناه يدخل، ولأنه يخاف أن تكون أحدهم، يمتنع عن إجابتك»، قال الزوج: «أحسنتنَ صنعا بإنقاذكنّ له من الموت».

دلفَ الزوج إلى الداخل ونادى عشيق زوجته وأجلسه إلى جانبه أثناء العشاء.

(113) ــ تثبّتُ النسخة اللاتينية مدخلاً عن كيد النساء، فيما تخلو الإنجليزية والفرنسية من هذا المدخل.

الفصل 17

(الملك والحكواتي)

(Exemplum De Rege et Fabulatore suo(114

The King and His Jester

قال المُريد: «أخبرتني بغرائب ولا أستطيع منع نفسي من الإعجاب بجرأتهن الكبيرة، أرجوك أن تحدثني أكثر عن حيلهنّ إن لم يكن يزعجك ذلك، قال الشيخ: «ألم تكفيك الأمثلة الثلاثة التي أوردتها لك؟»، أجاب المُريد: «كلّ هذه القصص الثلاث لا تحوي إلا على كلمات قليلة أرجوك أن تحكي لي حكاية طويلة».

قال الشيخ: «إحذر من أن يحدث لك ما حصل بين الملك والحكواتي خاصته، قال المُريد: «معلّمي العزيز، ما الذي حدث لهم؟ قال الشيخ: «قديما كان لملك حكواتي يحكي له كلّ ليلة خمس حكايات، ذات ليلة أصاب الأرقُ الملكَ ولم يستطع النوم، وعندما انتهى الحكواتي من سرد قصصه الخمس، طلب منه الملك أن يحكي قصتين إضافيتين، أستجاب الحكواتي لطلب الملك فحكى له ثلاث قصص قصيرة أخرى، طلب الملك الذي جافاه النوم المزيد، لكن الحكواتي اعتذر متذرعا بأنه قد حكى ما يكفي من القصص.

قال له الملك: «حكيتَ قصصا كثيرة لكنها جميعا قصيرة، أرجوك إحكي لي قصة طويلة، بعدها سأتركك تنام»، امتثل الحكواتي لطلب الملك وروى له عن فلاح غني ذهب للسوق ليشتري نعاجا، إشترى ألفي نعجة، وعندما عاد من السوق وجد بأن مياه النهر جدّ مرتفعة بحيث لا يستطيع عبورها، في النهاية وجد طريقا ضيقا لا يتسع إلا لنقل نعجتين كلّ مرة، فبدأ بنقلهن إلى الضفة الأخرى اثنتين اثنتين»، في هذه اللحظة نام الحكواتي، أيقظه الملك وأمره بأن يُكمل القصة التي بدأها، فقال الحكواتي: «سيدي.. النهر كبير وواسع، والطريق ضيق وكما ترى عدد

النعاج كبير، إنتظر حتى يُنهي الرجل نقل نعجاته إلى الضفة الأخرى وبعدها سأكمل القصة التي بدأت».

وهكذا أسكتَ الحكواتي الملك الذي كان يريد قصةً طويلة.

إذا أجبرتني أن أحكي المزيد فسأسيق مثالا مشابها للحكاية السابقة بكلمات قليلة.

قال المُريد: «يُقال في الأمثال القديمة، لا يشعر بالألم إلا من به الداء(115)، لم يكن الحكواتي يحب الملك مثلما تحبني أنت(116)، فهو يريد أن يتملّص من الملك بمثل هاته الحكايات ويذهب إلى سبيل حاله، لكن أرجوك علّمني أكثر عن مكائد النساء».

قال الشيخ:

(114) ـ تقسّم النسخة اللاتينية هذا المثال إلى رئيسي وفرعي: Exemplum De Rege et Fabulatore suo وDe Rustico.

(115) ـ ربما الإشارة هنا إلى بيت الشعر (لا تشكُ للناس جرحا أنت صاحبه لا يؤلم الجرح إلا من به ألمُ).

(116) ـ تُلاحظ الحميمية هنا والتي أشرنا إليها سابقا، في التخاطب بين المُريد وشيخه.

الفصل 18

(القوّادةُ ودموع كَلْبَتِها)

(Exemplum De canicula Lacrimante(117

X. The Procuress and Her Weeping Bitch

يُقال أنّه كانت لرجل نبيل زوجةٌ غاية في الجمال، وصادفَ أن أراد هذا الرجل الذهاب إلى روما للتكفير عن خطاياه، وترك زوجته في المنزل دون رقيب لأنه كان يثق بها وبأخلاقها، بقيت الزوجة وحيدة، وتابعتْ حياتها بإخلاص وأمانة.

ذهبت الزوجة في أحد الأيام عند جارتها، وبعد برهة عادت إلى مسكنها، رآها شاب فوقع في حبها، وبعث لها رسلاً عدة ليحظى بوصالها، لكنها تمنّعتْ ورفضت الاستجابة له.

عندما رآى الشاب ذلك منها، أحس بألم كبير ومرض مرضا شديدا، ورغم ذلك كان يذهب كثيرا إلى حيث يمكنه أن يرى المرأة، لأنه كان يريد أن يتحدث إليها لكنه لم يجد طريقة تمكّنه من ذلك.

فبدأ يبكي على حالة الحزن والشقاء التي هو عليهما، فألتقى بعجوز سألته عن سبب حزنه والألم الذي يحس به، رفض الشاب إخبارها بقصته، فقالت العجوز: «كلما كَتَمَ الرجل مرضه كلما ازدادَ وضعه الصحي تأزما»، حين سمع الشاب ذلك أخبرها بكلّ شيء، لكنه توسّل إليها أن تُبقي الأمر سرّا بينهما، قالت العجوز: «سوف أساعدك»، وتركتْ الشاب وذهبت إلى منزلها، كان للعجوز جِروة صغيرة، تركتها جائعة مدة يومين وفي اليوم الثالث أطعمتها خبزا وخردلا، وعندما أكلتهما الجروة بدأت عيناها تدمع من شدة الخوف، في الحال أخذتها العجوز قاصدة مسكن السيدة التي يحبها الشاب، استقبلتها السيدة بحفاوة وعندما رأتْ الجِروةَ التي تبكي سألتْ العجوزَ عما بها وما الذي يُبكيها، أجابتها العجوز: «صديقتي العزيزة أتسألينني عما حل بها؟،

من فضلك لا تسأليني لأني أحس بألم شديد لا أعرف لمن أُفصح عنه»، فألحت عليها السيدة كي تخبرها، فقالت العجوز: «هذه الجِروة التي ترين هي ابنتي، التي كانت فاتنة وتعيش بإخلاص، أحبها شاب لكنها ولشدة إخلاصها رفضته، فأحس الشاب بألم كبير وبعدها مرض مرضا شديدا، وبسبب ذلك مُسِخَتْ ابنتي وتحولت إلى جِروة».

حين أكملت العجوز كلامها بدأت تبكي بحرقة، حينها قالت السيدة: «يا إلهي، وماذا أفعل أنا ياسيدتي؟، يوجد شاب يحبني جدا وبنفس الطريقة التي حكيتِ عنها لكني رفضته كي أحافظ على وفائي وإخلاصي، وهو الآن مريض»، ردت العجوز: «أنصحك بأن تشفقي على الشاب قدرما استطعتِ وافعلي ما يريد حتى لا تُمسخي إلى جروة، وإن كان يُرضيك، حبا بالله ومن أجلك، سأذهب إلى الشاب وأخبره بنيتك الطيبة اتجاهه، من فضلك إمنحيني ثقتك»، شكرتها السيدة أكثر من مرة.

وهكذا جعلتها العجوزُ تصدقها بسبب مكرها ودهائها، فأحضرت الشاب كما وعدته، وجمعتهما معا.

قال المُريد: «لم أسمع بمثل هذه الأعجوبة، تَمَّ ذلك بوحي من الشيطان»، قال الشيخ: «لا شك في ذلك».

قال المُريد: «أعتقد أن لا أحد يستطيع الاحتراس من كيد النساء مهما حاول».

قال الشيخ: «سمعت عن أحدهم حاول جاهدا الحفاظ على زوجته لكن جهوده كلّها ذهبت أدراج الرياح»، قال المُريد: «أخبرني بما فعل كي أستطيع الحفاظ على زوجتي حين أتزوج، قال الشيخ:

(117) – Exemplum De Canicula Lacrimante (مثال على دموع الكلبة).

الفصل 19

(الزوج الغيور والحجر المُلقى في البئر)

Exemplum De Puteo

XI. The Jealous Husband and the Stone Cast into the Well

قديما بذل شابٌ كلّ جهده كي يتعلم حيلَ النساء، ومن بعد قرر أن يتزوج، لكنه قبل أن يفعل ذهب عند رجل في الجوار، وهو من أكثر الرجال حكمة وطلب منه النصيحة، فسأله كيف يمكنه المحافظة على امرأة يريد أن يتزوج بها، قال له الحكيم بأن عليه أن يبني منزلا من الحجر ذي أسوار عالية، وأن يضع زوجته داخله، وأن يوفر لها ما يكفيها من الأكل، إضافة إلى أن لا يبالغ في ملبسها، ويبني المنزل جاعلا له بابا واحدا ونافذة واحدة عالية من أجل الإضاءة، وبحيث لا يستطيع أحد الدخول أو الخروج، فعل الشاب تماما مثلما علّمه الحكيم.

وصباحا عندما يخرج الشاب من منزله، يقفل الباب بالمفتاح وكذا يفعل حين يكون داخل البيت، وعندما ينام يضع المفتاح تحت رأسه، وبقي على هذا الحال مدة طويلة.

في أحد الأيام وعندما كان الشاب في السوق، وبما أنها وحيدة أطلّت الزوجة من النافذة وأخذت تراقب المارّين، فتراءى لها شاب جميل الجسم والوجه، فأحبته في الحال، وبدأت تفكر كيف وبأي طريقة يمكنها الحديث معه، ففكرت بأن تأخذ المفتاح من زوجها بعدما ينام، هكذا قررت الزوجة، فبدأت تسقيه خمرا حدّ الثمالة كلّ ليلة، حتى تتمكن من الخروج من المنزل وتذهب لملاقاة عشيقها، وبالتالي تلبي رغبتها.

بدأ الزوج الذي قضى وقتا طويلا في تعلم مكائد النساء يفكر في السبب الذي يجعل زوجته تسقيه النبيذ حتى يسكر، فتظاهر في إحدى الليالي بأنه سكران، ففتحت الزوجة الباب وخرجت لرؤية عشيقها، نهض الزوج الذي لم يكن قد نام وأغلق الباب ثم جلس عند النافذة، وبقي هناك إلى أن

رأى زوجته عائدة، فسألها من تكون، كما لو أنه لا يعرفها مطلقا، توسلت الزوجةُ إليه وطلبت منه الرحمة ووعدته بأن لا تعيد الكرَّة ثانية، لكن توسلاتها لم تنفع أبدا، لأن الرجل كان غاضبا جدا، مقسما بأنه لن يسمح لها بالدخول أبدا، وسيخبر أبويها أيةُ زوجةٍ كانت، بدأت تتوسل أكثر وأكثر وهددتْ بأنه إن لم يفتح لها الباب فستُلقي بنفسها في البئر الذي يوجد قرب المنزل، ولينظر كيف سيبرر موتها لأبويها وأصدقائهم، أقسم الزوج قائلا بأنها لن تدخل المنزل أبدا.

أمسكت الزوجة والتي كانت شديدة المكر والدهاء بحجرٍ ورمته في البئر مخمِّنة بأن الزوج حالما يسمع صوت ارتطام الحجر بالبئر، سيظن بأنها قد ألقت نفسها بداخله.

صمتت المرأة عندما فعلت ذلك، أما الرجل والذي كان ساذجا فعند سماعه لصوت الحجر، ظنّ بأن الزوجة قد ألقت فعلا بنفسها داخل البئر، فخرج مسرعا من المنزل وذهب نحو البئر معتقدا بأنها قد غرقت، لكن المرأة عندما وجدت باب منزلها مفتوحا دخلت وأغلقت الباب ورائها تاركة زوجها بالخارج، ثم جلست قريبا من النافذة.

أحسّ الرجل بخيبة كبيرة، فقال: «أوه، أيتها المرأة قرينة الشيطان، أتركيني أدخل وسأغفر لك ما فعلتِ»، بدأت الزوجة بتجريحه وسبِّه وأقسمت بألا يدخل أبدا، وتصرخ بكلمات من قبيل: «هاآا، رجل عديم الأمانة، سأخبر والِديَّ وكلَّ أصدقائنا كيف أنك مخطئ وغير أمين وكيف تتركني كلّ ليلة وتذهب عند عشيقاتك»، هذا مافعلتْهُ.

عندما سمع الأبوان ذلك أعتقدوا بأنها الحقيقة، فسبّوه وجرَّحوه وقالوا له كلاما قبيحا.

وهكذا نجت المرأة بنفسها واتهمت زوجها بكلِّ ما كانت تقوم به هي نفسها، لم يبدُ من مصلحة الرجل أن يرى إلى أين كانت تذهب زوجته، فقد سبب له ذلك غمّا كبيرا، لأن حسرته على ما وصل إلى اعتقاد الناس عنه كانت أكبر من ألمه بخصوص الخيانة، فحُرم من الكثير من الأشياء الطيبة وأُهينتْ كرامته.

قال المُريد: «لا يوجد رجل يستطيع أن يحفظ نفسه من مكر النساء إن لم تكن بمشيئة الله، مثل هذه الأحداث ذهبتْ برغبتي في الزواج».

قال الشيخ: «لا يجب أن تعتقد بأن كلّ النساء على تلك الشاكلة، هناك نساء طيبات، واعلم بأن رفقة النساء الطيبات جيدة، امتدح سليمان الحكيم في نهاية أمثاله كثيرا النساء الطيبات».

قال المُريد: «أرحتني بهذا، لكن هل سمعتَ أحدا يتحدث عن حيل النساء في الخير؟».

قال الشيخ: «سمعتُ»، قال المُريد: «إذن أخبرني عن ذلك، لأنه على ما يبدو شيء جديدّ».

قال الشيخ:

الفصل 20

(حكاية الصناديق العشرة)

Exemplum De Decem Cofris

XII. The Tale of the Ten Coffers

حدّثوني بأن رجلا إسبانيا ذهب إلى مكة(118)، وفي طريقه وصل إلى مصر، كان يريد أن يعبر الصحراء لذلك قرر أن يترك نقوده في مصر.

سأل إن كان يوجد رجل ثقة في المنطقة يستطيع أن يترك لديه نقوده، أشاروا عليه برجل قالوا عنه بأنه ثقة وصالح.

وهكذا ترك عنده ألف قطعة ذهب (Talentis 119)، وبعد أن عاد من رحلته، ذهب إلى الشخص الذي أودعه نقوده سائلا إياه أن يعيدها، رد عليه الرجل بنبرة خبيثة بأنه ما مِنْ شاهدٍ لديه يشهد بأنه ترك المال عنده، عندما سمع الرجل ذلك أحس بغمٍ شديد، فذهب عند رجال أتقياء في تلك المنطقة وأخبرهم كيف قام الرجل بخيانته والاستيلاء على ماله.

عندما سمعوا كلامه لم يصدقوه وأخبروه بأن ذلك الرجل من المستحيل أن يفعل ذلك.

لكن الرجل الدي فقد ماله، ظل يذهب كلّ يوم إلى منزل ذلك الذي استولى على ماله، ويتوسل إليه بكلّ لطف عسى أن يُعيد له نقوده.

لما سمع الخائن ما يقوله صاحب المال سبّه وطلب منه أن يتوقف عن قول مثل ذلك الكلام وأن لا يعود ثانية إلى منزله، وهدده إذا ما فعل ذلك ثانية فسوف يدفع الثمن.

عندما سمع التهديدات أحس بخيبة كبيرة، وذهب في حال سبيله حزينا آسفا، فوجد في طريقه امراةً عجوزا ترتدي ملابس الرهبان وتتكئ على عصا لأن قدميها ضعيفتان ومريضتان، تبتهل إلى الله، وتُبعد الحجر عن الطريق حتى لا يؤذي أرجلَ العابرين.

رأتْ العجوزُ الرجلَ يبكي وأدركت بأنه غريب عن هذه البلاد، فأشفقتْ عليه وسألته عما حدث له، فأخبرها بالقصة.

عندما سمعت العجوزُ ما حدث له قالت: «عزيزي إذا كان ما قلته حقيقة فسأساعدك».

قال الرجل: «عزيزتي.. كيف تستطيعين ذلك؟(120)».

قالت: «أحضرْ لي رجلا تثق به قولا وفعلا».

أحضرَ لها رجلا، وهذا أمرته العجوزُ على الفور بشراء عشرة صناديق مطلية بألوان تدل على الغنى والرفاهية، ومزنّرة بالحديد، مغلقة بأقفال جيدة، وقالت له: «عندما تحضرهم خذهم إلى منزل الحاج(121) واملأهم بأحجار صغيرة، فعل الرجل كلّ ما أمرته به المرأة، بعدها قالت للحاج: «أريد عشرة رجال يحملون هذه الصناديق بالترتيب، وكلّ واحد بعيد عن الآخر بمسافة معينة إلى منزل الرجل الذي خانك، سيذهبون برفقتي أنا ورفيقك.

أما أنت فتدخل في اللحظة التي يصل فيها الرجل الأول من حاملي الصناديق ويضع من على ظهره الصندوق، وتطالبه بمالك، حينها أعتقد بأن مالك سيعود لك، فعل الحاج كلّ ما طلبت منه العجوز التي لم تُغفل أن تذهب مع رفيق الحاج إلى منزل الخائن، فبادرت الأخير قائلة: «رجل من إسبانيا مقيم عندي يود أن يقطع البحر لكن قبل ذلك يريد أن يخبئ ماله الذي يوجد داخل هذه الصناديق عند رجل أمين إلى حين عودته، أرجوك أن تقبل الاحتفاظ بالمال عندك، إفعل ذلك من أجلي ومن أجل ما سمعتُ وما أعرف عنك بالتأكيد، من كونك رجل ثقة وأمين، أتوسل إليك إفعل ذلك من أجلي لأني لا أأتمن غيرك على هذا المال، وفي أثناء حديثها، دخل الرجل الأول حاملا صندوقا، تلاه الثاني بعده، ثم الآخرون، ثم تلاهم الرجل الذي تمت خيانته سابقا، وفعل ما طلبت المرأة منه.

عندما رأى الخائنُ الحاجَ، خشي أن يطالبه بالمال وأن يسمعه الآخرُ الذي يريد أن يودع عنده الأمانة فيمتنع عن ذلك.. فذهب مسرعا لملاقاة الأول قائلا: «صديقي أين كنت وأين سكنت؟ تعال وخذ مالك الذي خبأته عندي مدة طويلة لأنني لا أريد أن أحتفظ به بعدما عثرتُ عليك».

فرح الحاج كثيرا وأخذ ماله وشكره.

لما رأت العجوز بأن الرجل قد أخذ ماله، نهضت ثم قالت: «أنا ورفاقي سنذهب لملاقات صناديقنا الأخرى، أتمنى أن تنتظرنا حتى نأتي بها كاملة».

فرح الحاج كثيرا واحتفظ بالمال الذي استرده، أما الآخر ظل يحرس الصناديق منتظرا عودتهم بالبقية، ولازال كذلك.

وهكذا وبفضل دهاء العجوز عاد المال لصاحبه.

قال المُريد: «هذه حيلة رائعة ومفيدة، لكن إذا كنت تعرف شيئا آخر لأي حكيم، أخبرني به، وسأحفظه».

قال الشيخ:

(118) ـ يكتب اسم مكة هنا Miche، (E V), p. 35، وفي النص اللاتيني Mech: (L V), p. 38.

(119) ـ Talent عملة نقدية ذهبية، تساوي 16 غرام من الذهب عند اليونان، وثمانية غرامات عند البابليين.

(120) ـ في النسخة اللاتينية (صديقتي في الله).

(121) ـ يستخدم ألفُنس هنا كلمة (الحاج)، بدلا من (الرجل الإسباني).

الفصل 21

(براميل الزيت العشرة)

Exemplum De Tonellis Olei

XIII. The Ten Tuns of Oil

في قديم الزمان.. كان لرجلٍ إبنا صبيّاً، ولم يترك هذا الرجل لإبنه شيئا بعد مماته سوى منزل، كان الصبيُّ ضعيف البنية وهكذا عاش وهو يكدّ ويعمل كثيرا، ورغم أنه كان بحاجة للمال دوما، إلا أنه لم يفكر أبدا في بيع منزله.

وكان لهذا الصبيُّ(122) جار يرغب في شراء المنزل، من أجل توسعة منزله، لكن الصبيَّ لم يرغب في بيعه إياه، سواء بالتوسل والترغيب أو بطرق أخرى.

عندما أدرك الرجل ذلك، بدأ يفكر بأي حيلة أو خديعة يمكنه أن يأخذ المنزل من الصبيّ، وبذل الأخير كلّ جهده لينهي أطماع الرجل.

حزن الرجل الغني لهذا، وفي أحد الأيام قال للصبيّ: «بني، أجّر لي فسحة في منزلك مقابل دنانيري أريد أن أخبئ فيها عشرة براميل من الزيت، لن يضيّقوا عليك وإذا ما أعدتها لي سأعطيك أجرا جيدا».

كان الصبيُّ محتاجا للنقود، فوافق وأعطاه مفاتيح منزله.

قدّمَ الصبيُّ خدمةً للرجل النبيل وأوجد لنفسه دخلا مربحا يعيش منه، أخذ الرجل الغني مفاتيح المنزل وقال: سأحضر زيتي وأضعه تحت حراستك، كان الصبيُّ بسيطا طيبا فاعتقد بأن البراميل مملوءة، فتسلمها وقام بحراستها، حدث بعد ذلك بمدة طويلة، أن ارتفع ثمن الزيت في المنطقة، علم الرجل الغني بذلك فقال للصبيّ: عزيزي، هيا أعطني الزيت الذي كلّفتك بحراسته،

وسأؤدي لك ثمن الإيجار، أخبره الصبيُّ بأنه سوف يساعده قدر استطاعته في حملها، لم ينس الغني خديعته فأحضر أناسا ليشتروا الزيت، فتحوا البراميل فوجدوا خمسة منها مملوءة والخمسة الأخرى مملوءة للنصف، نادى على الصبيّ وبادره: عزيزي، لقد خسرتُ الزيت الذي كان تحت حراستك، وقد أخذته دون وجه حق، لقد وعدتني بالحفاظ عليه، أريدك أن تعيد ملكي لي.

بعدها استدعاه أمام المحكمة، ثم سأله مجددا عما فعله بالزيت، سقط بين يدي الصبيّ المسكين ولم يعرف بم يُجيب، لكنه طلب مهلة يوم، ووافقت المحكمة على ذلك، لأنه كان إنسانا جديا ومستقيما.

كان يعيش في المدينة حينها حكيمٌ، يسمى بمُعين الضعفاء، وهو رجل طيّب ومتديّن.

سمع الصبيّ عن طيبته، فأتى إليه وتوسله أن يقدم له المساعدة والنصيحة، لأنه مدان ظلما أمام المحكمة، أقسمَ الصبيّ بأنه بريء ومتهم دون وجه حق، عندما سمع الحكيمُ الحقيقةَ منه، أشفق عليه وقال له: «سأحررك بمشيئة الله، لكن لا تتخلف عن الذهاب إلى المحكمة كما وعدتَ، وسأكون هناك وسأبيّن الحقيقة وأدحض الباطل».

فعل الصبيّ ما أمره به الحكيم، وفي الغد عند الصباح جاء الحكيمُ إلى المحكمة، وعندما رأته هيئة المحكمة، نادت عليه وأجلسته بينهم، بعدها ناديا الرجل الغني والصبيّ، وأمرتهما الهيئة بأن يعرضا القضية، ففعلا ذلك، وقالت هيئة المحكمة للحكيم بأن يستمع وأن يحكم.

قال الحكيمُ: «قوموا بوزن الزيت الموجود في البراميل واعرفوا كم يوجد من مفتاح وكم من ثقب في البراميل، إن كان عدد الثقوب في البراميل المملوءة إلى النصف مثلها مثل عدد الثقوب في البراميل المملوءة بالكامل، فاعلموا بأن الزيت أُخذ بالقوة وإذا لم تجدوا ذلك فاعلموا بأن الزيت لم يُسرق.

وافقت المحكمة على الحكم، وفعلت كلّ ما أمر به الحكيم.

وهكذا حُرر الصبيُّ بمساعدة وحكمة الحكيم

عندما انتهت الدعوى، شكر الصبيُّ الحكيمَ كثيرا.

قال الحكيمُ: «ألا تسمع أبدا عن حكيمٍ يقول: «لا تشتري أبدا منزلا قبل أن تعرف من هو جارك»، قال الشاب: «المنزل ملكنا قبل أن يسكنها ذاك»، قال الحكيمُ: «لا تسكن قربَ جارٍ سيّءٍ أبدا «.

قال المُريد: «على الرغم من أن ما سمعته قد ثبُتَ في ذهني وكذلك في روحي، إلا إني أريد أن أسمع المزيد».

قال الشيخ: «بكل سرور»، وأكمل قائلا:

(122) ـ يُسمّيه بالإبن مرة وأخرى بالصبيّ وثالثة بالشاب.

الفصل 22

(حكاية الثعبان الذهبي)

(Exemplum De aureo serpente(123

XIV. The Tale of the Golden Serpent

يُروى بأنه كان يوجد رجل غني، سافر إلى إحدى المدن حاملا معه صرّةَ تحوي ألف قطعة ذهبTalentis وفي نفس الصرّة أيضا، سلسلة ذهبية على شكل ثعبان عينيه مرصعتين بحَجرين كريمين.

أضاع هذا الرجل الكيس، ومرّ رجل فقير في الشارع فوجد الكيس وأخذه إلى زوجته، وقصّ عليها كيف وجده، عندما سمعت الزوجة هذا، قالت: «سنحتفظ به لأن الله رزقنا به».

في اليوم التالي، مرّ في الشارع مناد وهو ينادي: «من وجد محفظة، عليه أن يعيدها وفي المقابل سنعطيه مائة قطعة ذهب، وسنسامحه أيضا على فعلته».

سمع الرجل الذي يحتفظ بالمحفظة النداءَ فقال لزوجته: «لنُعيدَ هذه المحفظة وسنحصل على المائة دون أن نكون مخطئين»، قالت الزوجة: «لو كان الله يريد من الرجل أن يحتفظ بمحفظته ما كان ليُضيعها، لذلك سنحتفظ نحن بما وهبنا الله».

ظل الرجل يفكر بأن عليه أن يعيد المحفظة، لكن الزوجة من جانبها ظلت تعارض، ورغم أنف الزوجة، أعاد الرجل المحفظة وطلب من المنادي أن يفي بوعده.

قال الرجل الغني صاحب المحفظة والذي كان خائنا ومخادعا: «يجب أن تعلم عزيزي بأنه مازال ينقص ثعبان ذهبي آخر»، قال هذا لأنه لا يريد أن يعطي للرجل المسكين المائة التي وعد بها، لكن الرجل المسكين ظل يقول بأنه لم يجد أبدا السلسلة الذهبية الأخرى.

سمع هذه القصة القاصي والداني، وأخبرتْ الشرطةُ الملكَ بها.

عندما سمع الملكُ القصةَ، أمر بأن يُمْثل الفقيرُ والغنيُ أمامه إضافة إلى الحكيمِ المُسمى (مُعين الضعفاء)، وكذلك حكيم آخر.

أمرهم الملك بأن يستمعوا إلى أقوال الفقير والغني ثم يحكموا بينهما بالعدل، عندما سمع الحكيمُ قصتهما معا، أشفق على الفقير فقال له: «سأساعدك بمشيئة الله»، فقال الفقير: «الله يعلم بأني قد أعدتُ كلّ ما وجدت بالطريق». قال الحكيمُ للملك: «من فضلك سيدي، إن كنت تريد حُكما عادلا فسأقول لك»، عندما سمع الملك ذلك، رجا الحكيمَ أن يحكم بالعدل، عندها قال الحكيمُ للملك: «سيدي، هذا الرجل الغني لا يقول الصدق، إنه يطلب شيئا لم يفقده أصلا، ومن ناحية أخرى يبدو لي بأن هذا الرجل الفقير لم يجد إلا ما قد أرجع، لأنه إن كان رجلا سيئا ما كان ليُعيد ما وجد، بل خبأ وأخفى كلّ شيء».

قال الملك: «وبماذا تحكم إذن ؟»، قال الحكيمُ: «أيها الملك، خذ المال وأعطي للرجل الفقير المائة، واترك الكيس عندك حتى يأتي صاحبه، لأن صاحب هذا المال ليس موجودا بيننا، أما هذا الرجل الغني فقد سمع المنادي وأتى يطالب بالمحفظة ذات الثعبانين».

أُعجِبَ الملكُ بالحُكمِ كثيرا وكذا كلّ من كان حاضرا، وعندما سمع الرجل الغني الذي فقد محفظته ذلك قال: «سيدي الملك، عندما أقول بأن هذا المال لي، فإني أقول الحقيقة، ولكن لأنني لم أكن أريد أن أعطي الفقير المائة ادّعيتُ بأنه مازال ينقص ثعبان ذهبي آخر، لكن إرحمني وأشفق علي ياسيدي الملك، وسأعطي الرجل الفقير ما وعدَ به المنادي».

أعاد الملكُ المال للغني وأخذ الفقيرُ ما وُعِد به.

وهكذا أعطى الحكيمُ للفقير مالَه بحكمته ودهائه.

قال المُريد: «إنها حنكة الحكيم الكبيرة، بعد هذا المثال لا أعجب من أن يستطيع سليمان الحكيم من الحكم بين امرأتين(124).

يقول الحكيمُ: «لا تسافر أبدا مع رجل لا تعرفه، وإذا ما التقيتَ غريبا في الطريق وأراد أن يتابع الطريق معك، أخبره بأنك ستذهب من طريق آخر وإلى مكان آخر وابتعد عما قال لك، وإذا كان يحمل قوسا إذهب ناحية اليمين، وإن كان يحمل سيفا إذهب ناحية اليسار».

أنّب عربيٌ إبنه قائلا: «أُسلك الطرق الرئيسية وإن كانت أطول من الطرق الفرعية، وقال: «إحذر النساء وإن كنَّ عجائزا، وإن ذهبتَ بثورك لتبيعه في المدن الكبيرة، بُعهُ بالمبلغ الذي استطعتَ».

أجاب الإبن على هذا: «صحيح ما قلته لي بخصوص الطرقات الرئيسية، لأنه حدث أن ذهبت أنا ورفاقي إلى إحدى المدن، وعند غروب الشمس كنّا قريبين من تلك المدينة، رأينا طريقا فرعية تبدو مختصرة للوصول للمدينة، ووجدنا رجلا عجوزا وسألناه عن الطريق التي تؤدي للمدينة فقال: «الطريق الفرعية توصل إلى المدينة في وقت أقصر من الرئيسية، ورغم ذلك يمرّ الناس من الطريق الرئيسية وليس الفرعية، عندما سمعنا ذلك حسبنا العجوزَ أحمق فتركناه وأخذنا الطريق الفرعية ولم نتوجه لا يمينا ولا يسارا، مشينا طوال الليل دون أن نصل إلى المدينة، لكننا إذا ما كنا قد ذهبنا من الطريق الرئيسية كنا لنصل عند منتصف الليل».

قال الأب لإبنه: «حدث لنا ذلك يوم ذهبنا فيه إلى المدينة من الطريق الرئيسية، وجدنا نهرا أمامنا كان لا بد من عبوره كي نصل إلى المدينة، وكانت الطريق تتفرع إلى فرعين، أحدهما يُوصل إلى المدينة عبر مخاضة نهر والآخر عبر قنطرة، والتقينا بشيخ عجوز فسألناه أي هذه الطرق أسرع وأهدأ إلى المدينة، قال: «الطريق عبر مخاضة النهر أقصر بميلين من طريق القنطرة، مع ذلك ستصلون إلى المدينة بهدوء وأمان عبر القنطرة»، البعض منّا سخر من الرجل العجوز كما فعلتم أنتم مع صاحبكم وسلكوا طريق النهر، غرق البعض في النهر والبعض فقد أمواله وجياده، والبعض الآخر عبر النهر بشق الأنفس، وبعد أن تبللوا بالكامل أقاموا حدادا على أصدقائهم الذين فقدوهم، أما أنا والعجوز فقد سلكنا طريق القنطرة بدون أي خسائر ووجدنا الآخرين على ضفة النهر يبكون خسائرهم».

فقال العجوز لأولئك الذين يبكون ويتحسرون على خسائرهم: «لو أتيتم معنا عبر القنطرة ما كان ليحدث لكم ما حدث، أجابوه: «فعلنا ذلك لأننا كنا نريد أن نسلك الطريق الأقصر».

قال العجوز: «ها انتم قد تأخرتم كثيرا»، تركناهم هناك ودخلنا المدينة سعداء فرحين.

سمعت مثلا يقول: «الطريق الطويل الذي يوصل إلى الجنة أفضل من الطريق القصير الذي يوصل إلى النار».

وبّخ العربي ابنه قائلا(125): «إذا رافقتَ أحدا في سفرك، فأحبه كما تحب نفسك ولا تفكر بخيانته حتى لا تتم خيانتك أنت أيضا، مثلما حدث مع رجلين من المدينة ورجل ريفي(126)، قال الإبن: «أبتاه، ماذا حدث لهم؟ قال الأب:

(123) ـ يُقسم ألفُنس هذا المثال إلى ثلاثة عناوين: Exemplum De aureo serpente, De Societate Ignota, De Sequendis Magnis Viis.

(124) ـ Hulme الهامش (129): «بعد هذا السرد يورد المترجم نصا لاعلاقة له بالحكاية السابقة، معلقا عليها بأنها هكذا وردت في النص اللاتيني»،(E V), p. 41.. بالرجوع إلى النص اللاتيني نجد أن المترجمين الإنجليزي والفرنسي قد أخطئا، لأن ألفُنس يورد في النص اللاتيني مثال منفصل قبل حكاية (كبير الخياطين وصانعه ندوي) القادمة، هذان المثالان كانا تحت عنواني:

Exemplum De Semita, Exemplum De Vado، (مثال على الطريق، ومثال على السفر).

(125) ـ تُحذَف جملة (وبخ العربي ابنه) في النسخة الإنجليزية وكذا الفرنسية وتُستبدل بـ (قال الأب لابنه)، ولكن Hulme يُصحح ذلك في الهامش ذاكرا النص اللاتيني، أنظر: الهامش (132)، (E V), p. 42.

(126) ـ لاحظنا في الغالب استبدال لصيغة حاج أو حجاج ـ حين يتم ذكر مكة ـ بصيغة أخرى، وهذا الأمر تتشاركه النسختين الإنجليزية والفرنسية، فيما تخلو النسخة اللاتينية منه.

الفصل 23

(الحجاج الثلاثة إلى مكة ورغيف الخبز)

Exemplum De Duobus Burgensibus Et Rustico

XV. The Three Pilgrims to Mecca and the Loaf

يُروى أن رجلين من علية القوم وآخر عامّي(127) راموا الذهاب إلى مكة(128)، ترافقوا معا في الطريق وكانوا ينفقون معا على احتياجاتهم، حتى لم يعد لديهم سوى القليل من القمح فعجنوا منه عجينة لرغيف خبز صغير، فقال الرجلان عندما رآها: «لدينا خبز قليل وصديقنا هذا يأكل كثيرا، يجب أن نفكّر جيدا كيف نستولي على نصيبه ونأكله نحن الإثنين»، قررا أن يهيئا الرغيف ويناما أثناء طهيه، والذي سيرى منهما حلما عجيبا سيأكل الخبز لوحده، قالا هذا لأنهما يريدان خيانة الرجل المسكين.

أعدا الرغيف للطهي وذهبا ليناما، أخذ العاميُّ الساذج الخبز من على النار قبل أن يكتمل نضجه، فأكله ونام، استيقظ أحد الرجلين مرتعبا ونادى على صديقه، سأله الرجل الآخر: «ما بك»؟، أجابه رفيقه: «حلمتُ حلما رائعا، أن مَلاكين فتحا لي باب الجنة ووضعاني أمام الله».

قال الثاني: «هذا الحلم الذي قصصته عليّ لعجيب جدا، لقد رأيت حلما، أنه بدا لي أن ملاكين أخذاني وجعلاني أفتح الأرض ثم أخذاني إلى الجحيم».

كان العاميُّ الساذج يسمع كلّ هذا لكنه ظل يدّعي النوم، لكن الرجلين اللذين انتبها إلى خيانته نادياه وأيقظاه، أجاب العاميُّ الساذج بسرعة وعلامات الدهشة والفزع تبدوان على محياه: «أين هما هذان اللذان يصيحان علي؟»، أجاباه: «نحن رفاقك، قال العاميُّ: «هل عدتما؟»، قالا له: «وأين ذهبنا لكي نعود؟»، قال العاميُّ: «يبدو لي وكأن الملائكة أخذت أحدكما وفتحت له أبواب

السماء وأوصلته أمام الله، وملاكان آخران أخذا الرفيق الآخر وألقيا به في جهنم، واعتقدت بأن لا أحد منكما سوف يعود فاستيقظتُ وأكلتُ الخبز».

قال الأب: «وهكذا بُنيّ.. هذا ما يحدث لمن يريد خيانة رفيق دربه، تتم خيانتهم بحيلهم».

أجاب الإبن: «حدث لهم مثلما يقول المثل: «من يريد كلّ شيء يفقد كلّ شيء، هذه أيضا طبيعة الكلاب أحدها ينهب طعام الآخر، لكن إن كانت لديهم طباع الجمل كانت ستكون لهم أحسن الطباع، لأن طبيعة الجمل هي إذا ما أعطينا العلف إلى مجموعة منها لتأكل، فلن تأكل حتى يأكل الجميع، وإن كان أحدهم مريضا لا يقوى على الأكل سيمتنع البقية حتى يأتي بينهم.

هذان الرجلان أرادا أخذ نصيب رفيقهما وقد كان عليهما التشبّه بالجمل وتهذيب الحيوانات، لذلك كان جزاؤهما هو فقدانهما لطعامهما، لكنني كنت أريد أن يحدث لهما مثلما حدث لخياط الملك الذي ضُرب بسبب صانعه (نَدْوي)، كما سمعتُ من شيخي».

رد الأب: «حدثني بُني بما سمعت، ففي كلّ قصة تستجم روحي».

قال الإبن:

(127) ـ في النسخ الثلاث تُستخدم صيغة برجوازيين لوصف الرجلين المدينيين (من علية القوم).

(128) ـ كتب اسم مكة في العنوان: Mecca، وفي نص الحكاية كتبها هكذا: Meche.

الفصل 24

(كبير الخياطين وصانعه نِدْوي)

Exemplum De Regii incisoris Discipulo Nedui Nomine

XVI. The Master Tailor and His Apprentice Nedwy

قال شيخي(129)بأنه كان لملك خياط يخيّط له مختلف الأثواب وفي مختلف الأوقات وكان لهذا الخياط كثيرٌ من الصُنّاع والتلاميذ المهرة الذين يتقنون جيدا ما يصممه معلمهم، كان أحد هؤلاء الصناّع يُسمى (نِدْوي) ويفوق الآخرين خبرة.

أحضر الملك الخياط وطلب منه أن يخيط ويعد ملابس له ولأهل بيته لإحدى المناسبات الدينية.

ولكي يشتغل الخياطون بشكل جيد وسريع، أمر الملك أحد حراسه الخاصين بأن يحرسهم ويُحضر لهم كلّ ما يحتاجونه في عملهم.

وفي يوم ما، أحضر الحرس الخاص بالملك الأكل للخياطين، وكان عبارة عن خبز وعسل وأطباق أُخر، بدأ العمال بالأكل في الحال، وأثناء ذلك سألهم الحارس: «لماذا تأكلون بدون نِدْوي ولا تنتظرونه حتى يعود ؟»، أجاب الخياط: «لأنه لا يأكل العسل»، وصل نِدْوي بعدها، فقال: لماذا أكلتم بدوني، ولماذا لم تتركوا لي نصيبي من الأكل؟»، أجاب الحارس: «لو كنتَ موجودا ما كنتَ لتأكل العسل»، صمتَ نِدْوي وبدأ يفكر في كيفية الانتقام من سيدهِ الخياط.

فحدث بعد برهة أن ذهب سيده ولم يعد يظهر له أثر في المكان، فتوجه نِدْوي إلى الحارس خلسةً قائلا: «سيدي، يحدث أحيانا أن يفقد سيدي الخياط صوابه ويبدأ في ضرب كلّ من حوله دون اتزان».

قال الحارس: «إذا عرفتُ ساعة دخوله في حالته المرضية سأمسكه بقوة لكي لا يرتكب أية حماقة»، قال نِدْوي: «عندما ينظر هنا وهناك وينهض من كرسيه ويرميه، عندما ترى هذه الأعراض، إعلم بأنه دخل في الحالة».

في اليوم التالي، أخفى نِدْوي مقصّات سيده الخياط، فبدأ الأخير في البحث عنها وعندما لم يجدها بدأ يتلمس الأرض بيديه في محاولة لإيجادهم، يتحسس هنا وهناك، ثم قام من مكانه متوترا، عندما رأى الحارس منه ذلك، نادى معاونيه وأمر بأن يأخذوا الخياط ويضربوه جيدا حتى لا يضرب أحدا من الموجودين، بدأ الخياط في الصراخ وبدأ يسأل عن سبب ما يحدث ولِمَ يضربوه بهذه الطريقة، تابع المعاونون ضربه وهم صامتون وعندما تعبوا من ضربه تركوه، فبدأ الخياط يلعن حياته، وعندما تمالك نفسه، سأل الحارس عما فعل به، أجابه الأخير: «قال صانعك نِدْوي بأنك تفقد صوابك أحيانا، فتصبح عنيفا ولا تعود إلى حالتك الطبيعية إلا بعد أن يتم ضربك، وهكذا اعتنيت بك كثيرا»، عندما سمع الخياط هذا نادى صانعه نِدْوي وسأله قائلا: «متى رأيتني أحمقا؟» أجاب الصانع: «ومتى رأيتني لا آكل العسل؟».

عندما سمع الحارس وكلّ الحاضرين ذلك بدأوا في الضحك قائلين بأن كلا منهما عرف كيف ينتقم لنفسه من الآخر.

قال الأب: «لقد كافأ الثاني الأولَ جيدا، لأنه لو كان قد فعل ما أمر به الله، وهو أن يحب الواحد للآخر ما يحب لنفسه، ما كان ليحدث له ذلك»(130).

قال حكيم لإبنه: «إحذر من أن تسخر من رفيقك، وخذ الأمر على محمل الجد، حتى لا يحدث لك ما حدث لمهرجينِ أمام الملك»(131).

قال الإبن: «أبتي.. أخبرني ماذا حدث لهم»، قال الأب: «حسنا».

حدث قديما أن حضر أحد المهرجين أمام الملك، ناداه الملك وأجلسه على مائدة الطعام مع مهرج آخر، فأحس الأول بغيرةٍ وحسدٍ شديدين اتجاه الثاني لأن الملك والحضور كانوا يفضلونه عليه، فكّر المهرج الأول في أن يُحرج الثاني ويزيحه عن طريقه، إن استطاع ذلك.

وهكذا وبعد أن انتهى من أكل الطعام، أخذ عظام اللحم التي كانوا يأكلونها ووضعها أمام رفيقه لكي يُحرجه ثم قال للملك: «سيدي.. أكل رفيقي كلّ اللحم التي كانت تكسو العظام».

نظر الملك إلى الثاني شزرا، ولكن المتهم قال للملك: «سيدي.. فعلت ما أملته فطرتي كإنسان، أن آكل اللحم وأترك العظم، ولكن فطرة صديقي كما يبدو فطرة الكلب، إذ تطلبتْ منه أن يأكل اللحم والعظم».

يقول الحكيم: «شرِّف الآخر بما تملك تماما مثلما تريد أن يُشرفكَ من هو أكبر مكانة منك ويعطيك مما لديه».

ويقول آخر: «من الجيد أن يكون الغني كريما، ومدعاة للفخر أن نكن آناسا كرماء».

قال الإبن: «أخبرني من هو البخيل ومن هو الكريم الأحمق»؟.

قال الأب: «الكريم الأحمق هو ذاك الذي يتصدق على من لا يستحق أن نعطيه، أما البخيل فذلك الذي يمنع الصدقة»(132).

قيلَ: «لاتنجذب لتجارة فاشلة، ولا تتوانى من أن تكن حذرا من تجارة تنمو بسرعة».

وقال آخر: «القليل من السعادة خير من منزل مملتئ بالذهب والفضة».

وآخر: «المفيد هو ما اكتُسِب بحكمة كبيرة وليس بسرعة».

وقال آخر: «لا تنظر إلى من هو أغنى منك كي لا تُؤثم، وأنظر إلى من هو أفقر منك، ثم احمد الله»(133).

وقال آخر: «لا تنسى الله بسبب الفقر، ولا تغترّ بغناك أبدا».

وقال آخر: «إذا كنت تريد أن تحصل في زمننا على ما يكفيك، فلن تقدر، وإذا كنت طماعا فإنك ولو جمعت كلّ ثروات هذا العالم فلن ينتهي طمعك».

وقال آخر: «لا تهتم بالأشياء الواهية ولا تتبع شيئا لا ينتهي».

وقال آخر: «من ينفق ماله بطريقة محسوبة، يحافظ على ما بحوزته»(134).

وقال آخر: «من لا يشتري الدنيا، يجب أن يحترس من أن يخبئ شيئا جانبا، لأنه كمن يُطفئ النار المشتعلة بالتبن».

قال آخر: «هؤلاء الذين يكنزون المال بشغف، لو يعلمون أنهم سيفقدونها في آخر المطاف».

سأل المُريد شيخه: «أتفرح بجمع المال؟».

قال الشيخ: «نعم، أمتلك بسرعة وأُنفق بطريقة جيدة ولا أحتفظ به في الخزنة».

وحكيمٌ آخر قال: «لاتطمع بممتلكات غيرك، ولا تحزن على الأشياء التي فقدتها لأن الحزن لا يعيدها أبداً»، وكما يُروى:

(129) ـ في (L V) (يُقال بأنّه).

(130) ـ تهمل النسخة الإنجليزية الرابط بما يتبع مباشرة الحكاية التي تتحدّث عن مهرجي الملك، وهذا مايُشير له Hulme في الهامش (148)، أنظر: (E V), p. 45

(131) ـ ترد حكاية مهرجي الملك في النسخة اللاتينية، وعلى خلاف الإنجليزية والفرنسية، كمثال مستقل تحت عنوان: (مثال المهرجَين) Exemplum De Duobus ioculatoribus، أما الحوارات التي بعدها، فيدرجها ألفُنس ضمن عنوانين في نفس المثال: (الثروة، الجشع، الإسراف) و(المال).

De Largo, Avaro, Prodigo. De Divitiis

(132) ـ في هذا الموقع ترد جملة اعتراضية من Hulme: «ينقطع الكلام هنا وترد مداخلة الحكيم».(E V), p. 46.

(133) ـ عن النبي محمد: «انظروا إلى من تحتكم، ولا تنظروا إلى من فوقكم فإنه أجدر ألّا تزدروا نعمة الله عليكم»، التمثيل والمحاضرة، مرجع سابق، ص. 25 ـ 26.

(134) ـ عن النبي محمد: «ما عال من اقتصد»، التمثيل والمحاضرة، مرجع سابق، ص. 27.

الفصل 25

(الفلاح والعصفور)(135)

(Exemplum De Rustico Et Avicula(136

XVII. The Churl and the Bird

في قديم الزمان، كان رجل يملك جِنانا، حيث تنساب الجداول بين عشبها الأخضر، ولجمال المكان كانت تتجمع الطيور فتغني أجمل الألحان بعذوبة بالغة.

حدث يوما أن الرجل بعدما أنهى عمله في جنانه ذهب ليستريح، وكان هنالك عصفور يغني بعذوبة فوق غصن إحدى الأشجار، عندما سمعه الرجل نصب له شركاً واصطاده، قال العصفور الذي وجد نفسه مصطادا: «لماذا تأخذني؟، ما الفائدة التي ستجنيها من حبسي؟»، أجابه الرجل: «أريد أن أستمتع بغنائك»، قال العصفور: «لا فائدة من ذلك، لأنني لن أغني أبدا، لا من أجل وعود ولا مال»، أجاب الرجل: «إذا لم تغنِ سآكلك»، قال العصفور: «كيف ستأكلني؟، إذا سلقتني في الماء سأصبح صغير الحجم، وإن شويتني ستصبح لحمتي جافة وأيضا سأصير أصغر، لكن إن تركتني أذهب ستستفيد أكثر».

سأل الرجل: «أية فائدة؟»، أجاب العصفور: «سأطلعك على ثلاث حِكَم، والتي ستنفعك أكثر من لحم ثلاثة عجول».

حرّر الرجلُ العصفورَ بعد أن تأكد من صدقِ وعده، فقال العصفور: «الحكمة الأولى: لا تصدق أبدا كلّ ما سمعته، والثانية هي: تشبث بما تملك جيدا، أما الثالثة: فلا تحزن كثيرا على ما فقدتَ».

عندما قال العصفور ذلك طار فحطّ على غصن شجرة وقال بعذوبة في أغنيته: «الحمد لله الذي أعمى عينيك وأخذ منك الحكمة، لأنك إن كنتَ علمتَ ما يوجد في بطني كنت لتجد حجرا كريما بحجم أوقية».

عندما سمع الرجل ذلك أخذ بالبكاء لأنه اعتقد بأن العصفور يقول الحقيقة.

قال العصفور: «لماذا نسيت الحِكَم التي لقنتك إياها منذ قليل؟، ألم أقل لك لا تصدّق كلّ ما تسمعه؟، كيف تصدّق بوجود حجر كريم يزن أوقية في بطني، وأنا وزني خفيف جدا؟، وقلتُ: لا تحزن على ما فقدتَ وأراك حزينا لأنك فقدتني».

قال العصفور كلامه هذا بلهجة ازدراءٍ من الرجل، وطار بعيدا نحو الغابة.

نصح الحكيم إبنه قائلا: «إقرأ كلّ ما تجد، لكن لا تصدق كل ما تقرأ».

قال المُريد: «أعرف جيدا لأنها ليست كلّ الحقيقة تلك التي توجد في الكتب، وعلى أية حال قرأتُ في أمثال الحكماء، هناك الكثير من الأشجار لكن ليست كلها مثمرة، وهنالك الكثير من الفاكهة لكنها ليست كلّها صالحة للأكل»(137).

نصح العربي إبنه قائلا: «بني لا تترك أبدا ما تستطيع أن تمتلكه الآن، لأجل ما يمكن أن يأتي لاحقا، حتى لا تفقدهما معا، مثلما حدث للذئب(138)بسبب ما وعده به أحد العامّة من الناس»(139).

(135) ـ يرد تمهيدٌ لهذه الحكاية في (L V)، تخلو منه النسختان الإنجليزية والفرنسية، وهو: «قال بطرس ألفُنس لابنه: لا ترغب بأشياء الغير ولا تشعر بالحزن للأشياء المفقودة»، وهو ذات المعنى في الحكمة الأخيرة في الحكاية السابقة، جدير بالذكر أنّها المرّة الوحيدة التي يتم فيها ذكر خطاب على لسان ألفُنس موجه لإبنه.

(136) ـ يُقسم ألفُنس هذا المثال إلى اثنين: Exemplum De Rustico Et Avicula, De Libris non credendis

(137) ـ القول لعيسى بن مريم: «ما أكثر الأشجار، ولكن ليس كلّها بمُثمر. وما أكثرَ الثمار، وليس كلّها بطيّب. وما أكثرَ العلوم، وليس كلّها بنافع. وما أكثرَ العلماء، وليس كلّهم بمرشد»، التمثيل والمحاضرة، مرجع سابق، ص. 15.

(138) ـ تُضيف النسخة اللاتينية: «ما حدث للذئب مع الثورين»، وتُسمّي أحد العامّة بـ (إبن ضيعة).

(139) ـ يُستخدم وصف Cherl في الإنجليزية الوسيطة لتسمية (أحد العامة)، وفي الإنجليزية الحديثة، وضمن العنونة للحكاية اللاحقة، تُستخدم كلمة Plowman فلاح حراثة (حرّاث).

الفصل 26

(الحَرّاث مع ثيرانه، والذئب والثعلب)

Exemplum De Aratore Et Lupo iudicioque Vulpis

XVIII. The Plowman with His Oxen and the Wolf and the Fox

يُروى أنّ أحد الحرّاثين يهدّدُ ثيرانه، من أن الذئب سيأكلها إذا ما ظلت لا تمشي باستقامة، فيقول لهم: «هكذا سيأكلكم الذئب».

سمع الذئب ذلك، وعندما هبط المساء، وقام الحرّاث بتحرير الثيران من المحراث، جاءه الذئب وقال له: «أعطني الثيران التي وعدتني بها؟»، فاتفقا أن يذهبا عند القاضي ليحكم بينهما، وهكذا وفي طريقهما التقيا بالثعلب، الذي قال لهما: «إلى أين أنتما ذاهبان؟»، فحكيا له سبب خصومتهما بكلّ تفاصيلها، فقال الثعلب: «لا حاجة لأن تتخذا حَكما آخر غيري، لأنني سأحكم بينكما بالعدل، ولكن دعوني أتحدث لكلّ واحد منكم على انفراد، وإذا ما استطعتُ التوفيق بينكما بدون أن نلجأ إلى التحكيم فلن يتم النطق بالحكم، أما إذا لم تتفقا، سأنطق بالحكم»، وافقه الاثنان على ذلك.

تحدث الثعلب بداية إلى الحراّث على انفراد قائلا: «أعطني دجاجة لي ولزوجتي مثلها وستحصل على الثيران»، فوافق الحرّاث.

بعدها تحدث الثعلب إلى الذئب أيضا على إنفراد قائلا: «صديقي، من أجلك أريد الحديث لأنني أعلم بأنك تستحق، لقد أقنعتُ ذلك الرجل، بأنه إذا ما تركته يأخذ الثيران بسلام، فسيعطيك جبنا معمولا على شاكلة وحجم القمر»، فوافقه الذئب على ذلك.

قال الثعلب: «دَعْ الحرّاث يذهب بثيرانه وسآخذك إلى حيث يوجد ذلك الجبن حتى تختار الأحسن والأكبر».

الذئب الذي داخ بكلام الثعلب الجميل، ترك الحرّاثَ يذهب بسلام.

بدأ الثعلب يقفز هنا وهناك ويحاول قدر ما استطاع أن يُشتت انتباه الذئب، وأخذه تحت جنح الظلام إلى بئرٍ، أراه الثعلب هيئة البدر والذي كان تنعكس صورته في قاع البئر، وقال: هذا هو الجبن الذي وعدتك به، من فضلك إنزل إلى تحت وكُلْهُ»، قال الذئب: «إنزلْ أنت أولا وإن لم تستطع أن تأتي به لوحدك عندها سأفعل ما ستأمرني به».

شاهدا أثناء حديثهما حبلا معلقا بالبئر وبأحد طرفيه عُلّقَ جردلٌ وفي الطرف الآخر جردلٌ آخر، وكان الجردلان معلقين بحيث إذا نزل أحدهما، يرتفع الثاني.

فهم الثعلب الحيلة فأخذ الجردل ودخل فيها باقتراح من الذئب، عندما رأى الأخير ما حدث داخل البئر، قال للثعلب: «لماذا لا تأتيني بالجبن؟»، أجاب الثعلب: «لاأستطيع الإتيان به لأنه كبير جدا أدخل في الجردل الآخر وتعال وساعدني كما وعدتني».

دخل الذئب في الجردل الثاني ونزل إلى القاع بسرعة لأن وزنه ثقيل، في هذه الأثناء صعد الجردل الآخر إلى الأعلى لأن الثعلب لم يكن ثقيلا.

خرج الثعلب من الجردل وترك الذئب في قاع البئر.

وهكذا ولأن الذئب ترك ما كان بين يديه، فقدَ الثيران والجبن معا(140).

قال العربي(141) موبخا إبنه: «خذ النصيحة من المُجرّب، فهي أكثر سهولة من أن تجربها بنفسك».

وأكمل قائلا لإبنه: «لا تصدق أبدا كلَّ النصائح التي تسمع حتى تتأكد جيدا إنها جيدة وصادقة، كي لا يحدث لك ما حدث للّص الذي وثق في نصيحة صاحب المنزل»، قال الإبن: «أبتي، ماذا حدث له ؟»،

قال الأب حينها:

(140) ـ يورد ألفُنس بعد المثال أعلاه عنوانا فرعيا تحت تسمية: De Consilio Accipiendo Et Probando، (خذ النصيحة من المُجرّب).

(141) ـ جملة محذوفة ولكنها موجودة في النص اللاتيني وهي: (قال العربي)، .(E V), p. 50.

الفصل 27

(اللّصُ وضوء القمر)

Exemplum De Latrone Et Radio Lunae

XIX. The Thief and the Moonbeam

يُروى بأن أحد اللصوص ذهب إلى منزلِ رجلٍ غنيٍّ ليسرقه، وصعد إلى نافدة المنزل حيث توجد المدخنة وبدأ يستَرّقُ السمع إن كان مازال أحد ما مستيقظ في المنزل.

عندما أحس سيدُ المنزل بوجوده قال لزوجته بصوت خافت: «إسأليني بأعلى صوتك من أين حصلتَ على هذه الممتلكات الكثيرة وتوسلي إلي كثيرا كي أسرّ لكِ بذلك».

قالت المرأة بأعلى صوتها: «سيدي من أين حصلت على هذه الثروة الكبيرة التي تملك؟، مادمتَ لست بتاجر».

أجاب الزوج: «احتفظْ بما أعطاك الله واعمل بإرادة، لا تسأليني أبدا من أين حصلتُ على ثروتي».

ولكن كلما تمنّع الزوج، ألحّت الزوجةُ عليه بالسؤال، في النهاية إنصاع الرجل إلى توسلات زوجته وقال: «إحترسي من أن تقولي أسرارنا لأحد، أنا لصّ».

أجابت المرأة: «عجبا كيف حصلتَ على هذه الثروة الكبيرة، لن يصدّق أحد ما أسمع وما تقول».

بعدها أكمل السيد: «أحد المعلمين علّمني تعويذة يجب أن أقولها حالما أصعد المنازل، فعندما أدخل وأصعد إلى النافدة آخد ضوء القمر بيدي وأقول تعويذتي سبع مرات، وما أردده هو

SAULEM، وأنزل بعد ذلك إلى داخل المنزل بدون أي خطر، فآخذ كلّ ما أجده جيدا وغالياً، وعندما أنتهي أصعد مجددا إلى النافذة وأُرجِع ضوء القمر وأقول من جديد تعويذتي سبع مرات، وبعدها أحملُ كلَّ شيء إلى منزلي، وهكذا امتلكتُ كلَّ هذه الثروة».

قالت الزوجة: «فعلتَ طيبا بقولك هذا لي لأنه عندما يولد صبي لي، سأعلّمه التعويذة حتى لا يكون فقيرا أبدا».

قال السيد: «دعيني أنام لأنني أحس بالنعاس وأريد أن أرتاح»، ولكي يخدعَ اللصَّ جيدا بدأ بالشخير متصنعا النوم.

فرح اللصُّ الذي سمع ذلك الكلام وتحمّسَ وقال التعويذة سبع مرات، بعدها ألقى بيديه على ضوء القمر ففلتتا من النافذه وسقط إلى داخل المنزل، فأحدث ضجيجا وضوضاءً كبيرين، كُسِرَ ظهره وذراعاه وبدأ يتألم.

سمع سيد المنزل صوتَ السقوط وكما لو كان لا يعرف شيئا صاح: «من هناك؟».

قال اللصُّ: «أنا اللصّ التعيس الذي صدّق كلامك المخادع».

حينها قال الإبن للأب: «أنت أب جيد لأنك علمتني كيف أتفادى النصائح المخادعة»(142).

يقول الحكيم: لا تصدق نصيحة أحد يحاول أن يمنعك من منفعة الغير، لأن من يرفض النفع للآخرسيجلب الشبهات أمام عيني مَن يعطي كلّ شيء»

قال آخر: «إذا كنتَ في سعة من العيش فلا تحاول أن ترتكب الخطايا لأنه إن فعلت فسينقص ما تملك وتقل بركته».

سأل المُريد شيخه: «هل أعطي لفاعل الخير وأمنعُ عن الحكيم؟».

قال الشيخ: «العاطي هو الله، ومن لا يخضع لأوامر المَلك لا يخضع لله».

قال المُريد: «علّمني بالمنطق كيف يكون ذلك».

قال الشيخ: «الطيبةُ تنتقل من مخلوق إلى مخلوق وهي من الله، ومن يعطي للطيبين فإنه يُعطي لله».

حكيمٌ آخر يقول: «إحترس من هذا الملك المغرور مثل الأسد وقليل الشجاعة مثل طفل صغير».

وقال آخر: «من يلعن الملكَ فهو نَكرةٌ في زمانه».

وقال آخر: «الله سيديم مُلكَ الملكِ الدي يُخطئ في حق نفسه ويعدل في معاملته لرعيته، ولا يفعل الله ذلك مع الملك المراعي لنفسه، وشديد القسوة على رعيته».

قال أرسطو للكسندر: «أحكم بالعدل بين الناس ليحبوك ولا تتسرع بالرد والمجازاة على الخير والشر، لأنه: إن كان صديقك فسينتظر طويلا وإن كان عدوك فسيخشاك مدة أطول»(143).

(142) ـ Hulme الهامش (171): «جزء من رابط الكلام بين هذه الحكاية والحكاية التالية كما مرتب في النسخة اللاتينية، أخذ من سياقه المناسب من قبل، المترجم الإنجليزي أو من نسخة إنجليزية أخرى من العهد الوسيط ونُقل إلى نهاية الحكايتين: (الخادم الكسول ميمون) و(ناسك يؤنب روحه). كما وردت تماما في النسخة اللاتينية»،(E V), p. 51، لا نتفق مع رأي Hulme، لأن ألفُنس يُفرّع من مثال (اللص وضوء القمر) ثلاثة عناوين فرعية من مثاله هي: De consilio, De Benefacto, De Rege Bono Et Malo.

(143) ـ تُضيف النسخة اللاتينية قولاً آخر لأرسطو يسبق هذا القول، ممهدة لذلك بـ :(قال أرسطو في رسالة للملك ألكسندر ينصحه قائلاً: «من الأفضل أن تحكم رعيتك قليلة العدد بسلام من أن يكون في عهدتك جيش جرار».

الفصل 28

(حول ماريانوس)(144)

Exemplum De Mariano

XX. Concerning Marianus

يقول أفلاطون في كتاب (التنبؤات)، بأنه كان يوجد ملك في اليونان شديد القسوة على الناس وعنيف، ابتلى بالحروب من كلّ حدبٍ وصوب، ولأنه يريد أن يعرف سبب وظروف ذلك، أرسلَ بطلب جميع حكماء البلاد.

عندما اجتمعوا كلّهم، قال: «ألا ترون بأن حروبا كبيرة حدثت لي ولكم؟، أظنها أصابتكم بسبب مااقترفته من خطايا، لكن إذا كان هناك شيء يجب تقويمه أخبروني به، سأستجيب في الحال لرأيكم وحكمكم».

أجاب أحد الحكماء: «نحن لا نعرف أي خطايا توجد في شخصكم، لكن بالقرب من هنا على بعد مسيرة ثلاثة أيام يوجد رجل كبير السن إسمه ماريانوس Maryne كلامه مُبارك». أرسلْ له حكماءك وسيخبرك عن طريقهم كلّ شيء حدث لك في حياتك كلّها».

بعث الملك سبعة حكماء إليه، وعندما وصلوا عنده وجدوا المكان الذي يعيش فيه مقفرا، سألوا عن الرجل الذي أتوا لأجله، فقيل لهم بأنه وآخرين كثر موجودين في المعبد، عند سماعهم ذلك قصدوا المكان الذي يوجد فيه الرجل، حالما رآهم الرجل الحكيم، بادرهم: «تعالوا إلى هنا يا رسل الملك المارق الذي قد أعطاه الله حكما طويلا، لكنه تماما ليس بعادل بل طاغية، الله الذي خلقه هو وشعبه سواسية، والذي تحمّل كثيرا قساوته وطريقته غير المتزنه حاول أن يُلفت انتباهه بعدة طرق لإصلاحه كي يتوب، والآن عند النهاية، حيث حان وقت مماته بعث له ناس برابرة(145) أغراب وقساة لا رحمة لديهم بسبب شرّه».

صمتَ الحكيم عندما قال ذلك.

تعجب الحكماء وكلّ من كان حاضرا حين سمعوا ذاك الكلام، وفي اليوم الثالث استأذنوا من الرجل الحكيم بالعودة.

فقال لهم الحكيم بنبوءة: «عودوا الآن، لأن سيدكم قد مات، وقد وضع الله مكانه ملكا جديدا سيكون حاكما عادلا ومنصفا لشعبه».

عندما سمع الحكماء ذلك، فضّل ثلاثة منهم أن يبقوا برفقة الحكيم، وعاد أربعة إلى بلادهم، إذ وجدوا حقيقة ما قاله الحكيم لهم (146).

(144) ـ في (L V) كان العنوان (ماريانوس).

(145) ـ هكذا وردت في الإنجليزية الوسيطة: Barbaryus people، (E V), p.53، وفي اللاتينية: Barbaras .

(146) ـ Hulme الهامش (186): « الحكاية 24 في اللاتينية، هي عن تاجر حصيف يرفض أن يُقيم في بلادٍ مصاريفُ مَلكها أكثر من عائداته، والتي يُدرجها المترجم الإنجليزي برقم 24 بدلا من 21، إذ كانت ستكون في سياقها العادي من المحاورات. كما أن الحكاية رقم 21 في النسخة الإنجليزية لا تُدرج كما هي عليه في اللاتينية، كجزء طويل من نقاش بين العربي وابنه حول آداب سلوك شخص ما في خدمة الملك، أي تتبع رقم 24»،(E V)., p 53، نتفق تماما مع الرأي أعلاه، لأن النسخة الإنجليزية والفرنسية تحوّل مثال Exemplum De Duobus Fratribus Et Regis Dispensa، من ترتيبه بعد حكاية (حول ماريانوس) إلى ترتيب مُدمج في حكاية (التاجر الحكيم والملك القصير النظر)، والخطأ ذاته ورد في (L V) إذ تورد النص التالي في نهاية حكاية (ماريانوس): «قال عربي لابنه: «لا تعشْ في مدينة ملك مصاريفه أكبر من مدخولاته»، وهو نص يرد في حكاية (التاجر الحكيم والملك القصير النظر)، لا هنا.

الفصل 29

(رفقة الملك)(147)

(De Familiaritate Regis(148

XXI. Etiquette in the King’s Service

قال الأب: «من يريد رفقة المَلك يجب أن يأخذ كلّ شيء بعين الاعتبار.

لا يجلس مهما طال وقوفه حتى يأذن الملك، ولايتكلم حتى تدعو الضرورة لذلك، ولا يكون ثقيل الظل، ينتبه طوال الوقت وينصت إلى كلّ ما يقوله الملك، إذ لا يناسب الملك أن يعيد كلامه مرتين، إحترس من الكذب، ولا تصاحب شخصا يكره الملك أو يكرهه الملك.

عندما تتحلى بهذا وبأمور أخرى، لا تحاول بعدها أن تستغل الملك لتحقيق مكاسب شخصية»(149).

قال الإبن: «أمر مؤسف أن لا يستطيع شخص يخدم الملك أن ينتفع من رفقته».

قال الأب: «تحدثُ كثيرٌ من هذه الأشياء ولهذا يقول الحكيم بأنه لايجب أن نظل طويلا في رفقة الملك، وآخر قال: من يرافق الملك ولا يكسب شيئا يضيّع وقته».

قال الإبن: «أبتي، لماذا نسيت أن تخبرني كيف يجب الأكل أمام الملك؟»،

الأب: «لم أنس، لأنه ليس هنالك فرق بين أن تأكل أمام ملك أو غيره».

قال الإبن: «قل لي على أية حال، كيف لشخص ما أن يأكل؟».

الأب: «لا تلمس شيئا عندما تغسل يديك للأكل بعده، حتى اللحم، لا تأكل أبدا الخبز قبل أن توضع الأطباق كاملة فوق الطاولة، حتى لا يقال بأنك متلهف وغير صبور، لا تضع في فمك لقمة كبيرة حتى لا يخرج منه الفتات وتُنعت بالشره، ولا تبتلع اللقمة حتى تمضغها جيدا لكي لا تختنق، لا تشرب حتى يكون فمك فارغا لكي لا توصف بالطماع الأكول، لا تتكلم حتى تبتلع كلّ ما يوجد بفمك لكي لا يدخل شيء في عروقك فيكون سببا في موتك، وإذا أعجبك جزءً لذيذا يوجد أمام رفيقك لا تأخذه لأنه أمر قبيح، إغسل يديك بعد الأكل لأنه أمر صحي، إذ تُمرض عيون العديد من الناس إذا ما لُمستْ بأيدٍ متسخة».

قال الإبن: «كيف أجيب إذا ما دعاني أحدهم إلى الأكل، هل أقبل أم أرفض»؟.

قال الأب: «إفعل مثلما تأمر قوانين اليهود، وهي تقول: إذا ما دعاك أحدهم للأكل معه أنظر اليه، إن كان شخصا رفيع المقام إقبل في الحال، وإن لم يكن فالتنتظر حتى المرة الثانية أو حتى الثالثة، وهنالك أيضا ما فعله إبراهيم: إذ أنه في أحد الأيام كان واقفا أمام باب بيته، فرأى ثلاثةً من الملائكة يمرون وهم على هيئة بشر فدعاهم بالدخول إلى منزله فغسلوا أرجلهم وأكلوا وشربوا، فعلوا ما طلب منهم لأنه رجل ذو شرف رفيع، وهذا يُبين أي رجل ذو مقام عالٍ كان».

قال الشاب(150): «عندما أكون في ضيافة شخص ما، هل آكل قليلا أم كثيرا؟».

قال الشيخ: «إنه يعتمد على من يكون المضّيف، إن كان صديقك فسيستمتع وسيفرح كثيرا بأكلك الكثير، وإن كان عدوك سيغتم».

ـ «لم تضحك بني؟هذا يذكرني بما سمعته عن ميمون الأسود»(151).

(147) ـ Hulme الهامش (187): «الحكاية رقم 26، وفي محتوى النقاش في الأصل، تم نقل جزئها الأول في الإنجليزية الوسيطة من رقم 24 إلى الحكاية رقم 29، وهو لايتطابق مع الأصل» (E V), p. 53.

(148) ـ ترتيب هذا المثال في النسخة اللاتينية مُدمج بالمثال اللاحق (التاجر الحكيم والملك القصير النظر)، يلاحظ أننا فضلنا العنوان اللاتيني Familiaritate (رفقة)، على العنوان الإنجليزي (في خدمة الملك).

(149) ـ تُنظر في ذلك رسالة الجاحظ (التاج في أخلاق الملوك).

(150) ـ يستبدل ألفُنس هنا صيغتي (الأب والابن) بصيغتي (الشاب والشيخ ـ العجوز ـ)، ونرجح أن الحوار هو استكمال لحوار (المُريد وشيخه).

(151) ـ هكذا وردت في الإنجليزية الوسيطة: Blac Maymund (ميمون الأسود).

الفصل 30

(الخادم الكسول ميمون)(152)

Exemplum De Maimundo Servo

XXII. The Lazy Servant Maimund

حدث أن شيخا سأل ميمون عن كمية الطعام التي يمكن أن يأكلها، أجاب ميمون متسائلا: «هل هو لحم؟ ومن طعامي أم من طعام الآخر؟ فقال له: «طعامك»، قال ميمون: «من طعامي آكل القليل، ومن طعام الآخر آكل حتى لا يعد في استطاعتي ذلك».

أضاف الشيخ: «سيرته كشره، كسول، أخرق مخادع، وأفعاله الخرقاء تجعلنا نذكر سيرته...»

قال الشيخ: «طلب سيد المنزل من خادمه أن يغلق باب المنزل، كان الخادم كسولا فلم يستطع القيام، فأخبر سيده بأن الباب مغلق، في الصباح قال السيد: «ميمون.. استيقظ وافتح الباب»، أجابه هذا: «سيدي عرفت أنك تريد أن يُفتح الباب، ولهذا فتحته»، كان السيد يعرف بأن الخادم ترك الباب مفتوحا بسبب كسله، فقال له: «إنهض وانجز عملك إنه النهار وارتفعت الشمس عاليا»، قال ميمون: «إذا كانت الشمس قد أشرقت فأطعمني»، قال السيد: «خادم سخيف قبيح، تريد أن تأكل بالليل؟»، أجاب الخادم: «إذا كان الوقت ليلا فدعني أنام؟».

في مرة أخرى وليلا، قال السيد: «ميمون.. إستيقظ وأنظر إن كانت تمطر أم لا؟»، نادى الخادم الكلب الذي كان خارج الدار فلمس رجليه وعندما وجدهما جافتين أجاب بأنها لا تمطر.

في مرة أخرى طلب السيد منه ليلا أن يرى إن كانت النار موقدة في المنزل، نادى الخادم على القط فلمسه ليرى إن كان دافئا أم لا، وعندما وجده باردا أجاب بأنه لا توجد نار موقدة.

قال الشاب: «سمعت عن كسله، أريد أن أسمع أيضا عن حيَله».

قال الشيخ: «يقال بأن سيده عاد سعيدا من السوق بفضل ما كسبه من تجارته، فخرج ميمون إلى الخارج وذهب لملاقاته، عندما رآه سيده خشي أن يكون في جعبته خبر سيء، فبادره: «ما الخبر؟»، قال الخادم: «سيدي مات الجرو الصغير». قال السيد: «كيف مات؟»، أجاب الخادم: «إرتعب البغل فانقطع الحبل وهكذا هرب، فدعس الجرو وقتله». قال السيد: «وماذا فعلتم بالبغل؟»، أجاب الخادم الشاب: «سقط في البئر فمات، لأن إبنك سقط من الطابق العلوي فكسر رقبته الأمر الذي تسبب في ذعر البغل». سأل السيد: ماذا تفعل أمه؟، أجاب الخادم: «ماتت كمدا على أبنها». قال السيد: «من يحرس المنزل؟»، أجاب الخادم: «لا أحد لأنه محترق، ولا شيء بالداخل». قال السيد: «كيف احترق؟» أجاب الخادم: «في نفس ليلة وفاة سيدتي، نسيتْ الخادمة الشمعدان مشتعلا في صالة الجلوس وهكذا احترق المنزل بأكمله». سأل السيد: «أين الخادمة؟»، أجابه الخادم: «أرادت أن تُخمد الحريق فسقطت فيه واحترقتْ». قال السيد: «وكيف نجوتَ وأنت الكسول؟»، أجاب الخادم: «هربتُ عندما رأيتُ الخادمةَ تموت».

ذهب السيد حزينا بإتجاه أحد جيرانه، ليرجوه أن يأويه في أحد منازله، وفي طريقه التقى بأحد أصدقائه، وعندما رآه هذا الأخير حزينا، سأله ما به، فأخبره بكل ما قال الخادم له (153).

تلا الصديق أبياتا شعرية لمواساته، قائلا: «صديقي لا تحزن كثيرا، تحدث للإنسان دائما أمور مؤسفة لدرجة أنه يود أن ينهي حياته بطريقة لا تليق به وبعد ذلك يأتي الفرج، حتى ينسى السقم الذي مر به، الشقاء هو إرادة من الله الذي يحكم كلّ شيء، خففَ الأنبياءُ عن يعقوب بهذا المثال حتى لا يحزن ويأسف على ما فقد، ألم تسمع بأن الحكيمَ يقول: «من هو ذلك الذي في عالم متقلب يقدر أن يجعله مستقرا، ومن يقدر أن يحتفظ بما يملك وهو إلى زوال؟».

يقول العربي لإبنه: «بني.. إذا ما حدث لك أمر مؤسف لا تحزن أبدا ولا تتضايق كثيرا لأنها إحدى الطرق التي تبيّن فيها عن عدم الإيمان بالله، يجب أن تحمد الله دائما في السرّاء والضرّاء، لأن العديد من الأمور السيئة تحدث للناس وتمنع عنهم أمورا قد تكون أسوأ(154)، وتحدث لهم أمور كثيرة تنتهي بخير، ولهذا يجب أن نحمد الله على كلّ شيء وأن نثق فيه كما يقول الشاعر:
«إذا كنتَ في نقمة لا تطلب كثيرا ولاتكن لحوحا

لكن ضع ثقتك بالله وتذكّر دائما الفرج، هكذا ستنسى كل الأمور السيئة لأن مصائب كثيرة تأتي وتنتهي بخير»، قال الحكيم: «المجد في هذا الزمن صعب لأنك لن تأكل العسل بدون سم النحل»، يقول آخر: «ذاك الذي يُلبي للكسول رغباته هو نفسه لا يتحمل أن يعطي القليل مما يريد»، يقول آخر: «مكاسب هذا الزمان تمضي بسرعة رمش العين».

(152) ـ يخلو النص اللاتيني من صفة (الكسول) في العنوان، ويُثبّتْ صفة (الأسود) في السرد؛ التي تخلو منها النسختان الإنجليزية والفرنسية.

(153) ـ يرد السرد اللاحق في النسخة اللاتينية في هذا المثال تحت عنوان (الدنيوي الزائل) .De Saecularium instabilitate

(154) ـ ربما الإشاره هنا الى الآية القرآنية "وَعَسى أَنْ تَكرَهوا شيئاً وهوَ خيرٌ لَكم" البقرة، 216، أو للمثل (ربّ ضارة نافعة).

الفصل 31

(سقراط «ديوجين» والملك)(155)

Exemplum De Socrate (Diogene) Et Rege

XXIII. Socrates and the King

يُقال في أحدى الحِكَم بأن سقراط لكي يبتعد عن الظلمات سكن في غابة تتوسط الطريق، بمسكن أسطواني يحوّل إحدى قاعدتيه كلّ مرة عكس الرياح والأمطار، فيما القاعدة الآخرى تقابل الشمس، وجده حرّاس الملك عندما كان يأخذ قسطا من الراحة تحت أشعة الشمس، فقال لهم بهدوء وطيبة: «لا تأخذوا مني ما لا تستطيعوا إعطاءه لي»، هاجمه الحرس وأرادوا طرده خارج منزله وأبعدوه عن الطريق حتى لا يثير منظر هذا الرجل القبيح اشمئزاز الملك الذي يُفترض أن يمرّ من هنا، لم يستطيعوا إخراجه فبدأوا بتهديده قائلين: «إحترس من أن تظل هنا كي لا يحدث لك مكروه، لأن سيدنا الملك وحاشيته سيسلكون هذا الطريق، عندما سمعهم الفيلسوف يتحدثون بهذه الطريقة، قال: «سيدكم ليس بسيد، بل هو خادمي»، عندما سمعوا كلامه هذا، نظروا إليه بقساوة وغل، أحدهم أراد أن يقطع رأسه، الآخرون أشاروا بأن ينتظروا توجيهات الملك، وبينما هم يتشاجرون على ذلك النحو، وصل الملك، فسأل عن سبب تشاجرهم مع ذالك الرجل، أخبره الحرّاس بما قال وفعل، عندما سمع الملك ذلك، أراد أن يعرف إن كان هذا الفيلسوف يقول الحقيقة، فتوجه نحوه وسأله عما قاله عنه، أعاد الفيلسوف نفس الكلام الذي سبق وردده أمام الحراس، وهو بأنه بمرتبة خادمه، رجاه الملك أن يوضّح له معنى كلامه، قال الفيلسوف: «إرادتي بيدي ولستُ تحت إمرتها، لكنك تخضع لإرادتك وأنت عبد لها، وليست هي من تخضع لك، نظر إليه الملك وقال له: «يُفهم من كلامك الذي تقوله، بأنه لا قيمة لقوتي؟»، فكر الفيلسوف قليلا ثم قال: «أنت تعلم بأن متطلباتك جعلتك ترضخ، لكن بمحض الصدفة سخّرتها في طلب مجد لا قيمة له، فكِّر وانظر كم من مجد مبني على أوهام ولا يساوي شيئا، وبالتالي أليس من الواجب والحكمة، الخوف من ذلك، هو أمر لا يُطمئِن، وماهو الآن أمر ظاهر

للعيان يمكن في وقت قصير أن يذهب ويصبح لا شيء وفي رمشة عين، وهذا هو المخيف فيه».

عندما سمع الملك كلام الفيلسوف قال لحرسه: «هذا الرجل مُبارك إحذروا من أن تلحقوا به أذى أو أن تهينوه(156).

(155) ـ تحذف النسخة الإنجليزية كلمة ديوجين، فيما تثبتها النسختان اللاتينية والفرنسية.

(156) ـ Hulme الهامش (218): «في النص اللاتيني الكلام يتبع حوار (فناء الدنيا)De Vitae Termin، بين الشيخ ومريده، كما أن جزءً صغيرا من رابط المحاوره بينهما لم تدرجه الترجمة الإنجليزية، مقابل ذلك تم نسخه ونقله من موضعه الأصلي بين الحكايتين 28 و29، وأدرج لاحقا في 24 بما لا يتطابق ذلك مع النص اللاتيني، ومكانه الطبيعي هو 26»،.(,E V) p. 5، نتفق مع Hulme، إذ هكذا ورد في اللاتينية أيضاً.

الفصل 32

(التاجر الحكيم والملك القصير النظر)

Exemplum De Prudenti Consiliarii Regis Filio

XXIV. The Wise Merchant and the Improvident King

يقال بأن أحد الملوك بإجماع كلّ حاشيته كلّف قريبا منه معروف جيدا باستقامته بأراضي مملكته كلها، وأن يجمع خراجها وأن يهتم بكلّ شيء، كان لهذا الرجل أخ يعيش بمدينة في مملكة أخرى وكان تاجرا غنيا، عندما رأى بأن أخاه أصبح من علية القوم فذهبَ عنده في موكب عظيم، مثلما يجب أن يكون، وكذلك أرسل رسولا منبئا أخيه بقدومه، لأنه لا يريد أن يصل بشكل مفاجئ.

عندما سمع الآخر بقدوم أخيه، ذهب لملاقاته واستقبله بسعادة بالغة.

بعد مدة وبعد أن كان المكان والزمان مناسبين للملك، أخبره بقدوم أخيه، قال الملك: «إذا كان أخوك يريد المكوث في أراضي مملكتي سوف أكلّفه معك بحراسة أراضي مملكتي، وإذا رفض العمل والمهام سأعطيه في هذه المدينة أملاكا كبيرة وسأتنازل له عن الضرائب وأشياء تعود لي».

عندما سمع هذا كلام الملك ذهب عند أخيه وأخبره بكلامه وكلّ ما وعده به، قال الأخ: «إذا كنت تريدني أن أظل معك أرني حجم مداخيل الملك»، أراه الأول ما طلب، بعدها سأله عن حجم مصاريف الملك، وهكذا فعل، فقال لأخيه: «عزيزي، أرى أن مصاريف الملك كبيرة أيضا بحجم مداخيله، إذا حدثت حرب أو شيء من هذا القبيل للملك، فمن أين سيجهّز محاربيه وأين سيجد المال لذلك!؟»، قال الآخر: «كيف نحصل على المال؟»، أجاب الأخ: أخشى أن أفقد ما أملك بهذه الطريقة، ولهذا لا أريد المكوث هنا وأدعو لكَ الله» (157).

أحد الحكماء قال: «إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً»(158).

لأنه من الأحسن أن يأخذ أصدقاؤك بعد مماتك ما تملك على أن تحتاج لمساعدتهم في حياتك.

وآخر قال: «الدنيا سفر، ومن أجل ذلك إنتبه لكل متطلباتك كما يناسب، فهذه الحياة قصيرة جدا».

قال آخر: «الدنيا جسر متحرك، ولهذا تشبث».

وآخر: «الدنيا جسر واضح، مدخله هو بطن الأم ومخرجه الموت»(159).

قال ناظم شعر: «الموت باب مفتوح وفي طريقة يُرينا كلّ أمور الدنيا، ولكن أتسائل أية منزله سنحظى بها، منزلة النِعَمِ؟، وماذا عن أولئك الذين يستحقون العذاب، أسيكونون بمنزلة أخرى؟»(160).

قال العربي لأبيه: «أبتي، كيف أربح منزلة النعيم والمجد اللذين فيهما(161)؟».

قال الأب: «ضع فيه أحسن وأغلى ثروتك ستجده هناك جاهزا فقط لك»(162).

أجاب الإبن: «كيف أستطيع أن أضع ثروتي في منزل، لا أجد بابه؟».

قال الأب: «إسمع إذن ماذا فعل إبن مستشار الملك بعد وفاة والده».

قال الإبن: «أبتي.. أخبرني بذلك، ولن أعترض على توجيهاتك».

قال الأب: «على أية حال يابني.. كان لملك مستشار حكيم مقرب منه جدا، توفي هذا المستشار عن إبن يُعتبر الوريثُ الشرعي الكريم والمتعلم جيدا، وترك أبوه أملاكا وثروة كبيرة له.

وبعد وفاة الأب، بعث الملك بطلب الإبن فطمأنه وأخبره بأن لا يحزن أبدا ولأي سبب كان بعد وفاة والده، ووعده بأنه عندما يصل السن القانوني سيتولى منصب والده.

استأذن الإبنُ الملكَ وعاد إلى منزله، نسيه الملك لزمن طويل، ومن جانبه لم يراجع الإبن الملك من حينها.

بعد ذلك وبمدة طويلة أصابت المجاعة المنطقة التي يقطنها الإبن، رأى الشاب ذلك واغتمتْ روحه لأنه ذو فطرةِ كَرم.

بعدها أفرغ مخازن حبوبه ووزع محتوياتهاعلى الفقراء المنكوبين، وأيضا قدّم مبارِكا مخزونه من النبيذ واللحم لمن أصابتهم المحنة.

كانت المجاعة تزداد يوما إثر يوم في المنطقة والمال ينقص عند الشاب، بحيث لم يعد يكفي المعوزين، بعد ذلك أعطى كلّ ثيابه وجواهره، وأنقذ الفقراء قدر ما استطاع، وهكذا تمر السنوات وخلالها أنقذ العديد من الناس الذين كادوا يموتون جوعا.

وكان يوجد في المنطقة سكرتير للملك يبغض الإبن، أثار حفيظة الملك سرّا ضد الأبن من مثيل القول: «جلالتكم، ياله من جشع وعديم المسؤولية إبن المستشار الذي ترك له والده ثروة كبيرة، والتي لم تأخذها منه لكنه صرفها بحماقة».

غضب الملك كثيرا، وأرسل في طلب الإبن وقال له: «كم هو أحمق إبن الرجل الحكيم، لا شرف له ولا كرامة، لماذا أهدرتَ بحماقةٍ الثروة التي جُمعتْ بحكمة، والتي أُعطيتْ لك لتحافظ عليها؟».

الإبن الذي علا ملامحَه الضيق والحرج، طأطأ رأسه ونظر إلى الأرض ثم قال: «سيدي، بلا محاباة لك، أنا ورثتُ عن والدي الذي تركني تحت رعايتك، أليس كذلك، وكما قيل، تصرفتُ بحماقة، لقد جمع أبي كنزا كبيرا ووضعه حيث كان يمكن للصوص أن يسرقوه، وأنا أيضا تركته حيث كان يمكن أن يحترق بالنار أو بأي حادثة، لكني وضعته حيث سيكون محفوظا بأمان له ولي».

سأله الملك، ماذا فعل به، حكى له الشاب كلّ ما فعل مع الفقراء والمعوزين.

عندما سمع الملك كلامه وتأكد من صدقه وحكمته، أثنى عليه كثيرا ثم أسند له منصب والده.

بعد مدة جمع الإبن ثروةً أكبر من تلك التي كانت عنده، بهذه الطريقة، نبلُ إبن مستشار الملك هو الذي جمع الثروة والسعادة.

عندما سمع الإبن كلام أبيه قال: هذا الإبن كان حكيما وأظهرَ طيبة كبيرة عادت عليه بالنفع، وفعلَ مثلما قال الحكيم لإبنه(163): «بني.. بِعْ هذه الدنيا من أجل الآخرة، وستحصل عليهما كليهما»(164).

وآخر يعلِّم إبنه فيقول له: قم بالعمل الصالح في هذه الحياة حتى يأخذ الموت بدنك، يقول آخر: «إحترس من أن تستحوذ عليك ثروات هذه الدنيا حتى لا تصبح مُثقلا بخطاياها، وتنسى الموتَ الذي فاجأ اللصَّ في بيت الرجل الغني».

قال الإبن: «أبتي، ماذا حدث له؟»، قال الأب:

(157) ـ Hulme الهامش (224): «نقل المترجم الإنجليزي الآن جزءً من محاورة هي في صلب موضوع الحكايتين 28، و 29، فيما هو وفق اللاتينية بعد الحكاية 24، ولكنه حذف البداية من النقاش حول (نهاية الحياة)، الذي يقول: (ثانية يقول المُريد لشيخه: مادامت هذه الأشياء تذهب في مهب الريح لماذا نحتفظ بها ونتشبث بها كما لو أنها سوف تدوم؟ أجاب الشيخ: لأننا لا نعرف متى تنتهي حياتنا)، (E V), p. 60

(158) ـ القول هو أحد الآحاديث النبوية.

(159) ـ Hulme الهامش (225): «حذف مترجم النص الإنجليزي بعض الكلمات المهمة وهكذا جعل النص مُربِك» (E V), p. 61.

(160) ـ Hulme الهامش (226): «حُذفت بقية المحاورة في النسخة الإنجليزية، ومايتبعها في اللاتيني (إبن مستشار الملك الفطن)»، (E V), p. 61

(161) ـ المقصود: نعيم الآخرة.

(162) ـ القول للقمان الحكيم مخاطبا ابنه: «يا بُنيّ: اتخذ تقوى الله تجارةً، تأتك الأرباحُ من غير بضاعة»، سبق ذكره في المدخل.

(163) ـ القول للقمان الحكيم، سبق ذكره في المدخل.

(164) ـ Hulme الهامش (227): «تعود النسخة الإنجليزية بعد هذا لتكملة الحوار المقطوع في 28 و29 في النسخة اللاتينية، ولكنها تحذف نص الجملة التالية: (يقول الإبن: نعمل من أجل المستقبل قبل أن يأتي الموت ويُزيح أعمالنا)»، (E V), p. 62.

الفصل 33

(القبض على اللصّ المتردد فيما يسرق)

Exemplum De Latrone Qui Nimia Eligere Studuit

XXV. The Thief Caught While Hesitating About What to Take

دخل لصٌّ إلى منزل رجل غني، فوجده مليئا بالجواهر والنفائس، إنبهر وبدأ يختار أثمن الأشياء وأغلاها وأحسن الصناديق، وبينما هو يسرق نسي الوقت الذي مرّ حتى حلّ الصباح، عندما استيقظ أهل المنزل وجدوا اللصّ مازال يختار دون أدنى انتباه، فضربوه بالأحزمة الجلدية والعصي وألقوا به في سجن معتم، في النهاية حُكم عليه بقطع رأسه، لو كان فكّر ليلا بأن النهار سيشرق لما حصل له ما حصل، والآن بدل أن يسرق فقد رأسه.

قال الحكيم: «غِنى الدنيا يمرُّ مثلما تمرُّ أحلام النائم، عندما يستيقظ ويفتح عينيه يفقد بلا رجعة كلّ ما حلم به»(165).

أيضا يُحكى عن أحد الرعاة الذي رأى في منامه أنه يملك ألف نعجة، كان يريد أن يبيعها لرجل، فخُيل إليه بأن هذا الرجل يريد أن يعطيه مقابل كلّ نعجة دينارا(166)، فطلب دينارا وربع لكلّ واحدة، وبينما هو يتناقش ويتجادل على هذا النحو انتهى الحلم، عندما انتبه البائع إلى أن ذلك لم يكن سوى حلمٍ، أبقى عينيه مغلقتين وبدأ يصرخ: «أعطيني دينارا واحدا وخذهم كلّهم».

بهذه الطريقة يبزغ الفجر لأولئك الذين يركضون وراء الأوهام في هذا العالم، وذاك الفجر يأخذ منهم شاؤوا أم أبوا كلّ الرغبات التي حلموا بنيلها.

قال الإبن: «هل نستطيع بطريقة ما الخلاص من قدر الموت؟».

أجاب الأب: «أبدا، لأن هذا الجزء لايمكن التخلص منه، لا بحيلة ولا طلب ولا يمكن الهرب من بين يديه المريرتين».

سأل الإبن: «كيف نستطيع التعامل معه حتى لا نحس بمعاناة عظيمة؟».

أجاب الأب: «إفعلْ مثلما قال الشاعر: «واجه بقلب شجاع ما لا تستطيع القضاء عليه، هكذا يكون وقع الموت سهلا»(167).

يُحكى عن حكيمٍ كان يمرّ بين مقابر قديمة فرأى شاهد قبر من المرمر فوق ميت وكُتبتْ أبياتٌ تقول ما يلي:

«أنت يا من تمر من هنا، ولا تقول سلاما، توقف، إسمع بأذنيك وإحفظ في قلبك كلماتي التالية: أنا ما سوف تكونُ، وقد كنتُ ما أنت عليه، لم أكن أخشى قسوة الموت، ولكنه حين أتى أخذني بعيدا عن أصدقائي، وعن كلّ أهل بيتي، الذين غطوني بالتراب وهاهنا أقبع، الآن خبا رونق ولون وجهي، وانقضى كلّ جمالي البشري، إن مررتَ صدفة بي أنا المغطى بالتراب لن تصدّق بأني كنتُ موجودا، الآن أرجوك أن تصلّي وتدعو الله لأجلي وبصدق، بأن يهبني الراحة في هذه الحياة الأبدية وأيا كان من يمرّ فليدع وليصلِ لأجلي ليكون مالك السماوات رحيما بي، وليصلِّ لنكون معاً في الجنة».

عندما قرأ الحكيمُ أبيات الشعر هذه وأعاد قراءتها مرة تلوى أخرى.. تنسّك»(168).

(165) ـ Hulme الهامش (232): «لا يطابق النص الإنجليزي الأصلَ في النصين القصيرين اللاحقين، أولهما الراعي والتاجر رقم 31، وهو يضم أسطرا قليلة جدا»، (E V), p. 63، وجدنا أنَّ النص في اللاتينية يطابق مثيله في الفرنسية، وكان تحت تسمية مثال الموت، Exemplum De Opilione Et Mangone، وDe Morte.

(166) ـ في النص اللاتيني dinarium دينار، (L V), p. 83

(167) ـ Hulme الهامش (233): «في هذا الموضوع الجزء الثاني من الحكاية 32 مفقود في النص الإنجليزي، والخاص بالحكيم الذي يمرّ بمقبرة»(E V), p. 63.

(168) ـ وردت حكاية الحكيم الذي يمر بمقبرة في النسخة اللاتينية كمثال مستقل تحت عنوان: Exemplum De Philosopho Per Cimiterium Transeunte، وأُلحِقَ به عنوان عن الشعر الذي على شاهد الضريح تحت عنوان: Verba mortui cuiusdam.

الفصل 34

(أقوال الحكماء عند قبر الكسندر العظيم)

Exemplum De Aurea Alexandri Sepultura

XXVI. The Sayings of the Philosophers at the Tomb of Alexander the Great

قيل عن الكسندر، أن مدفنه كان مصنوعا كلّه من الذهب، وإليه كان يذهب العديد من الحكماء: أحدهم قال: «الكسندر جعل كنوزه من الذهب، والآن على عكس ذلك، الذهب جعل منه كنزا».

قال آخر: «بالأمس كان كلّ العالم له، والآن أربعة أعمدة له».

قال آخر: «بالأمس كان الكسندر امبراطورا ويحكم الناس، والآن الناس تحكمه».

قال آخر: «بالأمس كان الكسندر يدوس الأرض، واليوم الأرض تدوسه».

قال آخر: «بالأمس كان يُميت الناس، واليوم هو ميت».

قال آخر: «بالأمس كان له أصدقاء وأعداء، اليوم هم سواء».

لكن من بين إثنين وثلاثين حكيما كانوا موجودين، يحتاج تذكر ماقالوه ذاكرة طويلة»(169).

(169) ـ وردت أقوال الحكماء كاملة في كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي (896 ـ 957م) تحت عنوان: (الحكماء على جدث الإسكندر)، وكذلك في التمثيل والمحاضرة للثعالبي تحت عنوان (كلامهم عند وفاة الإسكندر).

الفصل 35

(ناسِكٌ يؤنب روحَه)(170)

Exemplum De Heremita Suam Corrigente Animan

XXVII. The Hermit Chastening His Soul

أيضا حكيمٌ ناسكٌ يؤنب روحه يقول: «ياروحي، إعلمي واعرفي واسمعي ماتفعلين، مادمتِ تملكين زمامك بين يديك إلى أن تخرجي من مكانك وتذهبي إلى المنزلة حيث العدالة الدائمة، ستمرين بباب الحُكم حيث ستقرئين في لائحةٍ كلَّ مافعلتِ في هذا العالم، هناك سيكون الملائكة عن يمينك وعن يسارك يكشفون أمام الله كل مافكرتِ به وارتأيتيه.

في كفةٍ ستوضع حسناتكِ وفي الأخرى سيئاتكِ، ووفق ذلك ستتتم محاكمتك، حيث أن أخوانك وأصدقاءك لن يهبّوا لنجدتك أبدا، بل سيتركونكِ ويتخلون عنكِ.

إشتري نفسك الآن، إعملي جيدا وتوبي إلى الله حتى يأتي يوم الحساب.

ولا تقولي سأتوب غدا لأنكِ إن كررتِ هكذا، سوف تمنعكِ رغباتكِ، حتى يفاجُئك اليوم الأخير، وستندمين على حياتكِ وسنواتكِ وكلّ أيامكِ التي انقضت.

خذي العبرة مما يلي: أين هم الأمراء، أين هم الملوك، أين هم الأغنياء الذين جمعوا الكنوز؟، إنهم كما لو أنهم لم يكونوا أبدا، الآن انتهوا كما لم يوجدوا أبدا، إنهم كما الورقة التي سقطت من الشجرة ولن تعود إليها أبدا.

آآآآه أنت ياروحي، لا تخافي من محن الدنيا، لكن خافي يوم الحساب، خافي من كثرة خطاياك، وتذكّري خالقكِ الذي هو قاضيك وشاهدك».

(170) ـ يُقسّم هذه الحكاية في النسخة اللاتينية إلى مثال أساس هو Exemplum De Heremita Suam Corrigente Animan يتبعه عنوانان فرعيان هما: De Aliis Heremitarum Dictis وDe Timore Dei.

الفصل 36

مخافة الله

(De Timore Dei(171

سأل ناسكٌ(172) شيخه: «مالذي يجدر بي فعله قبل أن أذهب إلى العالم الآخر؟».

أجاب الشيخ: «إفعل الصواب، قبل أن تبلغ الهاوية».

ناسكٌ آخر ينادي في الشوارع: «لا تنسوا ماهو باقٍ لأجل ماهو فانٍ».

يقول آخر: «أحبوا أرواحكم كما تحبون أجسادكم، تفوزون».

يقول آخر: «لا تنسوا من لاينساكم أبدا، واعبدوا من سيقاضيكم».

يقول آخر: «اخشوا الله لأن من يخاف الله يستحق كلّ الخير، ويكون أكثر قربا من نيل المجد الأبدي، لهذا خشى سليمانُ اللهَ، ياله من فوزٍ كبير أن نخشى الله، إذ قال في هذا: «سيحكم الله في كلّ شيء، إن كان حسنا أو سيئا»(173).

من أجل ذلك فلنتوسل وندعوا لرحمة كبيرة وبخضوع تام، ليضعنا عن يمين إبنه، لننعم بالجنة بأعمالنا الحسنة مع سيدنا المسيح عيسى منقذنا، حتى نتمكن من الحصول على الراحة الأبدية والخلود والمجد مع الأب والروح القدس.

آمين.

(171) ـ اخترنا العنوان: De Timore Dei، إذ هكذا ورد في النسخة اللاتينية، فيما أهملته النسختين الإنجليزية والفرنسية كخاتمة للكتاب وجعلَت سرده ملحقا بحكاية (ناسك يؤنب روحه)،

وقد تنبّه Hulme لهذا الخلل ذاكرا ذلك في الهامش (247).

(172) ـ يستخدم ألفُنس صيغة ناسك بدلا من مُريد.

(173) ـ تعنون النسخة اللاتينية السرد اللاحق تحت عنوان: (حسن الخاتمة)، وتُضيف إلى نهايته قبل كلمة آمين جملةً: (إلى أبد الآبدين).

الفصل 37

المراجع العربية

ـ آبادي، الفيروز، القاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثامنة، 2005.

ـ إبن منظور، محمد، لسان العرب، الجزء التاسع، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، 1999.

ـ إمام، إمام عبد الفتاح، أفلاطون والمرأة، مكتبة مدبولي، القاهرة، بدون تاريخ أو طبعة.

ـ ابن المقفع، عبد الله، كتاب كليلة ودمنة، المطبعة الأميرية، بولاق، 1937.

ـ البعلبكي، منير، المورد (أنجليزي ـ عربي)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة والثلاثون، 1996.

ـ البَكري، أبو عبيد، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، حققه وقدّم له: إحسان عباس وعبد المجيد عابدين، دار الأمانة ـ مؤسسة الرسالة ـ، بيروت، لبنان، 1971.

ـ الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، التمثيل والمحاضرة، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب،(د ط)، 1983.

ـ الجاحظ، رسائل الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1964.

ـ الشَنتريني، أبو الحسن علي بن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ـ لبنان، 1997.

ـ العدوي، محمد قطة، ألف ليلة وليلة، بولاق، القاهرة، 1935.

ـ بارالت، لوثي لوبيث، أثر الإسلام في الأدب الإسباني، ترجمة حامد يوسف أبو أحمد وعلي عبد الرؤوف البمبي، مراجعة علي عبد الرؤوف الشعراوي، مركز الحضارة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2000.

ـ بالنثيا، آنخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسن مؤنس، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011.

ـ بن جميع، محمد نجيب، الأدب الألخمي والموريسكي تأصيل الكيان، مجلة دراسات أندلسية، تونس، عدد 30، ديسمبر2003.

ـ بوزورث، كليفورد، وشاخت، جوزيف، تراث الإسلام الجزء الأول، ترجمة محمد زهير السمهوري، حسين مؤنس وإحسان صدقي العمد، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يونيو 1998.

ـ بوكاشيو، جيوفاني، الديكاميرون، ترجمة صالح علماني، دار المدى، بغداد، الطبعة الثانية، 2014.

ـ كاسترو، أميركو، إسبانيا في تاريخها المسيحيون والمسلمون واليهود، ترجمة علي إبراهيم منوفي، مراجعة حامد أبو أحمد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2003.

ـ مائة ليلة وليلة، تحقيق وتقديم محمد طرشونة، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، 2013.

ـ مانويل، دون خوان، الكوندي لوكانور كتاب الحكايات والمسامرات والأمثال المفيدة، ترجمة وتقديم عبد الهادي سعدون، مراجعة طلعت شاهين، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، مشروع (كلمة)، 2016.

ـ مخاطبات الوزراء السبعة، الترجمة العربية لكتاب «سندبادنامة» من أصول ألف ليلة وليلة، حققه وقدّم له سعيد الغانمي، منشورات الجمل، 2019.

ـ نافعه، حسن، وبوزورث، كليفورد، تراث الإسلام الجزء الثاني، ترجمة حسين مؤنس وإحسان صدقي العمد، سلسلة عالم المعرفه 234، المجلس الوطني للثقافه والفنون والآداب، الكويت، يونيو 1998.

المصادر والمراجع الأجنبية:

ـ Hulme, Wiliam Henry, Disciplina Clericalis, Cleveland, Ohio, MAY 1919.

ـ Palencia, Angel Gonzales, Disciplina Clericalis, Del texto Español, Madrid.Granada, 1948.

ـ Discipline de clergie, De l´ imprimerie de RIGNOUX, Paris, 1824.

ـ Petrus Alfonsi, Dialogue against the jews, trans: Irven M. Resnick, Catholic University of America, press 2006.

ـ Manuel Ortuno Arregu, FILOLOGIA CLASICA Y MEDIEVAL, ArtyHum Revista de Artes Humanidades, nr 24, Vigo 2016.

ـ Oxford Dictionary, English ـ English, Oxford University, Pres 1999.

ـ Lewis & short, Latin Dictionary, 1879.

ـ Axelsen, Jens, Engelsk dansk Ordbog, Gyldenddals Røde Ordbøger, Danemark, 1987.

ـ Encyclopedia Universalis.

.Enecyclopædia Britannica –

The tales of Peter Alfonse 'Discipline Clericalis' course of events starts from the Arabic tales - as certified by the author in his introduction in Latin-, he himself translated it to Latin after deleting everything he thought would contradict the principles of the church, for the copy to remain in this language –transferred to Latin - which is the only copy we received and probably for ever, a matter which makes western scholar and historians consider it as a pure western production, despite the fact that they confess it was originally written .in Arabic

The author is a physician and astronomer, a religious man from Andalusia born in 1062 AD, and in 1106 he was Christened and was given another name, the one he was famous with later on, back then he was called Rabbi Moses Sephardi. Born in the city of Huesca in the state of Aragon, and later carried a name after King Aragon .Alfonso the First, who adopted him and raised him up

The eastern origin of the tales is evident in the composition and references of Arabic cities like "Baghdad, Egypt and Makkah" as well as the structure of the narrative which appears like Arabic tales told by a bird or an animal, moreover it presents the main character as being an Arab. Consequently, a certain evidence appears showing that the Tales of Alfonso is of Arabic and Islamic origins, even if the Latin version is the oldest to be discovered, which is a copy of the .lost original text

These tales were among the best read ones among the readers, since they were written in the twelfth century until the fifteenth century AD, which means it mastered story telling for three centuries or more .in the Latin Western World

Many were influenced by these tales: Moliere in his play Georges Dandin, Boccaccio in the Decameron, Cervantes in Don Quixote and .A Hundreds Night and One night too

le parcours des histoires d' Pierre Alphonse* disciplin clericalis* commence depuis les récits arabes - comme le confirme l' auteur dans son introduction de la version latine -; et c'est lui même qui l'avait introduit au latin après avoir supprimer tout ce qu'il a jugé non conforme aux convictions de l'église .donc; la seule copie qui nous est parvenu est celle-ci -la version latine - et la copie arabe a disparu et peut être à jamais .tellement que les historiens occidentaux .considèrent l'œuvre comme une production purement occidentale

l'écrivain est un médecin et astrologue et religieux andalous ne le - 1062 et décédé le 1106. Il s'est converti au christianisme et on lui a . attribué le nom par lequel il est connu ultérieurement

Il s'appelait moise safardi né a Huesca dans la communauté d'Aragon .il a pris le nom d'Alphonse pour faire plaisir au roi d'Aragon* .Alphonse 1er* qui l 'a adopté

Ce qui prouve que les histoires proviennent de la culture orientale; c est leur structure, les citations ,d'autant plus que les noms arabes

des pays et villes (Bagdad - Égypte - la Mecque) .Les héros sont également des personnages arabes; ce qui ne laisse aucun doute d'affirmer que les histoires d'Alphonse sont issues du patrimoine (culture) arabo-musulman; en dépit de la version latine considérer .comme la plus ancienne

a l'époque; ils étaient les plus populaires parmi les lecteurs ,depuis - son apparition au 12eme siècle jusqu'au 15 eme. c'est a dire qu'ils ont dominé (les histoires disciplina clericalis) le récit pendant trois . siècles

Ils avaient (les histoires) un impact sur plusieurs écrivains; molière - dans sa pièce théâtrale* George dandin* boccace (Giovanni bocaccio) dans son œuvre* décaméron* ,servantes * don Quichotte*, .* ils ont influencé également * les mille et une nuit

الفصل 38

الفهرس

1 - الغلاف 2 - عُهْدَةُ النُسّاك 3 - عُهدة ألنُساك: الشرق والآداب السردية الغربية 4 - مدخل إلى عهدة النساك 5 - كتاب عُهدة النساك 6 - (النصفُ صديق) 7 - (الصديقان الصدوقان) 8 - (الملك والشعراء)(89) 9 - (البغل والثعلب(90)) 10 - (الثعبان الجحود)(98) 11 - (الشاعر الذي تحوّل إلى بَوّاب)(100) 12 - (قِسٌّ في خَمّارَة)(105) 13 - (نعيبُ البوم) 14 - (خداعُ زوجة النبّاذ(111)) 15 - (الزوجُ المخدوع بالملاءَة) 16 - (الحماة والسيف المسلول)(113) 17 - (الملك والحكواتي) 18 - (القوّادةُ ودموع كَلْبَتِها) 19 - (الزوج الغيور والحجر المُلقى في البئر) 20 - (حكاية الصناديق العشرة) 21 - (براميل الزيت العشرة) 22 - (حكاية الثعبان الذهبي) 23 - (الحجاج الثلاثة إلى مكة ورغيف الخبز) 24 - (كبير الخياطين وصانعه نِدْوي) 25 - (الفلاح والعصفور)(135) 26 - (الحَرّاث مع ثيرانه، والذئب والثعلب) 27 - (اللّصُ وضوء القمر) 28 - (حول ماريانوس)(144) 29 - (رفقة الملك)(147) 30 - (الخادم الكسول ميمون)(152) 31 - (سقراط «ديوجين» والملك)(155) 32 - (التاجر الحكيم والملك القصير النظر) 33 - (القبض على اللصّ المتردد فيما يسرق) 34 - (أقوال الحكماء عند قبر الكسندر العظيم) 35 - (ناسِكٌ يؤنب روحَه)(170) 36 - مخافة الله 37 - المراجع العربية

النهاية - الفصل 39